



روايات مصرية للجيب -

لن أعسود

زهور

٢٧



www.dvd4arab.com

شريف شوقي

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
تطبع ونشر والتوزيع
الطبعة الأولى: ١٩٩٩

إن الحب بمعناه الكبير .. ومعناه السامى ، وبابتعاده عن
الأنانية والرغبات والشهوات ، هو أعظم شيء خلقه الله في
هذا الوجود !!

وفي هذا الزمن الذى طغت فيه الأطماع المادية
والأنانية الفردية ، نحن نحتاج الآن لمن يسمو بمشاعرنا ..
نحتاج لهذا النوع من الحب .. نحتاج لزهور نستنشق
عبرها ، فتحرّك مشاعرنا ، وترقق عواطفنا ..
وفي كل قصة من قصص هذه السلسلة ، دعنا ننقل
من زهرة إلى زهرة .. في بستان ملؤه جمال المشاعر ..
ورقة الأحاسيس .. وزهور الحب .

المؤلف

١ - الهارب من الحب ..

انعكست نظرة الفتان وانبهار حاملة ، على عيني (ليلي) ،
وهي تتطلع من فوق ربوة عالية خضراء ، إلى بستان وارف من
الزهور ، عند سفح الربوة ، وعيناها تشقان عن إعجابها بكل
ذلك الجمال ، ثم لم تلبث أن أسرعت تمهيط منحدر التل الأخضر
إلى البستان ، وثوبها الأبيض الحريري يتطاير حول جسدها
الرقيق ، فبدت كملاك يهف في طريقه إلى الفردوس ،
وامتدّت يدها تجمع طاقة من الزهور ، وهي تتنقل من مكان
إلى آخر كفراشة راقصة حاملة سعيدة ..

وفجأة ، امتدّت يد خشنة قاسية ، تحمل شعلة من اللهب ،
وصرخت (ليلي) عندما أحاطت النيران بالبستان ، وسقطت
الزهور من يدها ، والجحيم يحاصرها من كل جانب ، حتى تحوّل
فرعها إلى صرخة استغاثة رهيبة ..

وانشقّ التل الأخضر عن فارس ممشوق القوام ، على صهوة
جواد أبيض ، واندفع الفارس يهب الأرض بجواده نحو البستان
المشتعل ، واقتحم النيران غير عابئ بما يعرض له نفسه

من مخاطر ، وانحنى يحمل (ليل) بين ذراعيه ، وحملها على
صهوة جواده ، ووثب به فوق النيران ، وكأكما يملك
جناحين ..

وفوق بقعة خضراء جميلة ، توقف الفارس ، وهبط من فوق
جواده ، وعاون (ليل) على الهبوط وقد فقدت وعيها ،
وأرقدتها فوق الأرض الخضراء ، وهو يتأملها بنظرات حب
وعطف وحنان ، حتى فتحت عينيها ، ورأته مائلاً أمامها ،
فانسعت حدقتها ، وهي تهتف باسمه في لغة :
— (خالد) .. (خالد) .

وعادت تطلق عينيها مرة أخرى ، وقد بدت كالنائمة ،
فانزع الفارس قميصه ، ووضع تحت رأسها ، وتراجع في
حنان ، دون أن يعد عينيها ، وراح يتأملها في حب ، واسمه
يردّد بين شفثيها في همس ، ثم اعتلى صهوة جواده ، وألقى عليها
نظرة أخيرة بعينين حزينتين . قبل أن يجذب غنان جواده ،
وينطلق به مبتعداً عن المكان ، وتعالى من خلفه صوت الفتاة
تهتف :

— (خالد) .. (خالد) ..

ولكن الفارس وجواده راحا يتعدان في الأفق ، حتى تلاشيا

* * * * *

فيه ، وتحول صوت (ليل) إلى ما يشبه الأنين ، وهي تردّد
اسمه ..

ثم أطلقت صرخة مدوية ..

وانفتح باب الحجر ، واندفعت منه فتاة ، إلى حيث ترقد
(ليل) منكشمة في فراشها ، وقد ضمت ساقيها إلى صدرها
بذراعيها ، وألقت رأسها فوق ركبتيها ، وهي تبكي في حرارة ..
وجلست الفتاة إلى جوارها ، واحتضنتها بذراعيها ، قائلة :
— ماذا حدث يا حبيتي ؟ .. أهو ذلك الحلم مرة أخرى ؟
قالت (ليل) وهي تتحب :

— نعم .. إنه هو يا (سلوى) .. نفس الحلم ..
ورفعت إليها عينين مفرورتين بالدموع ، مستطردة :
— لقد رأيته هذه المرة أيضاً .. لقد انتشلتني من بين النيران ،
على صهوة جواد أبيض ، وحلني إلى بقعة آمنة ، ثم رحل عني
بغثة .. أردت أن أسبقه .. توسّلت إليه أن يبقى ، ولكنه لم
يستجب لندائي .. لقد ابتعد وابتعد ، حتى اختفى مع جواده ..

غمغت (سلوى) محاولة عهدتها :

— (ليل) .. إنه مجرد حلم ..

هزّت (ليل) رأسها في يأس ، وهي تقول :

* * * * *

— بل هو تعبير عن حقيقة تعسة ، أصبحت أحيا فيها
 يا (سلوى) .. حقيقة أن (خالد) قد رحل .. رحل ولن يعود
 أبدا .. أعلم أنه ليس من حقى حتى أن أبكى أو أتألم لفراقه ،
 فأنا المألومة .. أنا التى أضعته ودفعته إلى الرحيل ، ولكن
 (خالد) لم يحمل فى صدره أبدا قلبا قاسيا .. فلماذا يقسو على
 إلى هذا الحد ؟ لِمَ لا يغفر لى ؟ .. كيف طأوعه قلبه على
 هجرانى ؟ .. آه لو يعلم مدى أسفى وندمى لفراقه .. لو يعلم
 كم أحتاج إليه .. إلى حبه الكبير ، الذى طالما غمرنى به ..
 للثقة والأمان اللذين كنت أشعر بهما وأنا إلى جواره .. لو يعلم
 مدى صدق حبنى ومشاعرى نحوه هذه المرة .. ليت أتاح لى
 فرصة إثبات صدق حبنى له .
 قالت (سلوى) ، وهى تحاول التغلب على انفعالاتها :
 — من يدري يا حبيبى ؟ .. ربما عاد يوما ، فالأمل موجود
 دائما .. فقط حاول أن تهدئ الآن ، وأن تعودى إلى النوم ،
 هيا .. فأنت مريضة ومتعبة ، وتحتاجين إلى الراحة .
 أوامات (ليل) برأسها إيجابيا فى استسلام ، ورفدت فى
 فراشها صامتة ، مغلقة العينين ..
 ولكن الصورة لم تفارق ذهنها ..

***** ٨ *****

صورة (خالد) ..

انهمك (خالد) فى فحص عينة من التربة ، بواسطة
 مجهره ، فى أحد معامل البترول ، بدولة الإمارات العربية ،
 عندما فتح باب العمل ، ودلف منه زميله المهندس (يوسف) ،
 وهو يقول :

— أَلَمْ تنته من عملك بعد يا خالد ؟ .. لقد ذهب الجميع
 إلى النادى .
 خالد :

— لقد شارفت على الانتهاء .
 يوسف :

— هل تبشر تلك العينة بخير ؟
 ابتسم (خالد) ، قائلا :

— جدًّا .. إن نسبة الخام فيها مرتفعة للغاية ، ولست أبالغ
 لو قلت إنها تتعدى التسعين فى المائة .
 يوسف :

— إنها نسبة رائعة .. حسنا .. أنصت إلى أخبارى الهامة
 أولا .. لقد وصلنى اليوم خطاب من (سميحة) .

***** ٩ *****

نهض (خالد) من مقعده ، وخلع معطفه الأبيض ، وهو
يقول :

— رابع .. كنت تشكو من تأخر خطاباتها .

يوسف :

— إنها تتعجل عودتي ، على الرغم من أنها تعلم جيدًا أن
الإجازة السنوية ستأتي بعد ثلاثة أشهر كاملة .

علق (خالد) معطف العمل فوق المشجب ، قائلاً :

— يبدو أنها تحبك كثيرًا .

قال (يوسف) مزهواً :

— أكثر مما تتصور .. لو أطلعتك على خطابها الأخير

لستدرك مدى حبها لي .

ابتسم (خالد) ، قائلاً في استخفاف :

— الحب ليس عبارات منمقة على الورق يا صديقي ، فهو

أكبر من ذلك كثيرًا .

هتف (يوسف) :

— ماذا تعني ؟

ربت (خالد) على كفه ، قائلاً :

— أأنت والى من حب (سميرة) لك ؟

***** ١٠ *****

يوسف :

— تمام الثقة .

خالد :

— حسنًا .. أرجو أن تكون ثقتك في عملها .. هيًا نذهب

إلى النادي .

استوقفه (يوسف) ، قائلاً :

— مهلاً يا (خالد) .. ألا تلاحظ أنك غريب الأطوار

بعض الشيء ؟

ضحك (خالد) ، قائلاً :

— ماذا تعني بغريب الأطوار هذه ؟

يوسف :

— إنك تميل دوماً إلى الوحدة والصمت ، وإذا

ما تجاوزتهما ، فإنك تتحدث بعبارات غامضة ، وأنا تقريباً

صديقك الوحيد هنا .

خالد :

— وما الغريب في أن يميل الفرد إلى الهدوء والعزلة ؟ .. إنني

لست منظوياً كما تحاول تصويري ، ثم إنك الصديق الوحيد لي ،

لأنني أثق بك ، وأثق في أنك مخلص أمين .

***** ١١ *****

يوسف :

— لو أنك تثق في حقًا ، وفي إخلاصي ، لكشفت لي عن السر الذي يخفي وراءك ، فمند حضورك إلى هنا ، لم تغادر المكان أبدًا ، ولا تصلك أية رسائل من أية جهة أو أى شخص ، ولم أرك أبدًا أُرسل ولو رسالة واحدة مثل الجميع ، ثم إنك ترفض الإجازات الرسمية ، وتفضل البقاء في موقع العمل ، وكأنك تحاول الانعزال عن العالم أجمع .. صحيح أننا جميعًا هنا من أجل العمل ، ومن أجل تحسين أوضاعنا المادية ، ولكنك وحدك تبدو وكأنك قد لجأت إلى هذا المكان الثاني ؛ لتخفي من شيء ما يطارذك .. وهذا ما أشعر به .

تطلع إليه (خالد) في غضب ، وانفعل قائلاً :

— حسنًا .. هل جعلت من نفسك محلاً نفسيًا لكشف عقدي وأسراري .. لقد أخبرتك أكثر من مرة أنه لا شأن لك بحياتي الشخصية ، ولو أنك تظن أن صداقتك لي تمنحك هذا الحق ، فأنا أتنازل عن هذه الصداقة .

وغادر المعمل كالعاصفة ، وأغلق الباب خلفه في قوة ، تاركًا صديقه من خلفه في خيرة ..

وانطلق إلى حجرته ، وألقى جسده على الفراش ، وهو يحدق في سقف الحجرة في شرود ..

***** ١٢ *****

لماذا يسمى (يوسف) وغيره لنبتش أسرار حياته ١٢ ..

لماذا لا يتركونه لينسى ١٢

لينسى آلام وأحزان ماضيه ..

نعم .. إنه يعترف .. لقد جاء إلى ذلك المكان حاملاً مشاعره الجريحة ، آملاً في نسيان ذكرى حبه الفاضل .. حبه لـ (ليل) ..

ذلك الحب الذي لم يجلب له سوى الصعاسة والشقاء .. الآن فقط بدأ يتأقلم مع وضعه الجديد ، ويتعايش مع النسيان ..

أفاق من شروده على صوت دقات على باب حجرته ، فهتف في ضيق :

— ادخل ..

فُتح الباب في ببطء ، ودخل منه (يوسف) ، الذي وقف متردداً يضع لحظات ، قبل أن يقول :

— لقد أتيت لأعتذر .. أعلم أنه لم يكن من حقّي أن أحاول التدخل في حياتك الخاصة ، وأنه كان ينبغي أن أحترم رغبتك في إختلاها ، ولكنني رأيت أنه بحكم الصداقة .. أغني أنه .. أقصد .. حسنًا .. إنني أكرر اعتذارى على أية حال .

***** ١٣ *****

نهض (خالد) من فراشه ، وأحاط كف صديقه بساعده ،
وهو يقول :

— أنا الذى يجب أن يحذر ، فلقد كنت فقط عبيدا معك ..
إننى أقدر أن دافع محاولتك كشف أسرارى هو حبك
وصداقتك ، ولكن صدقنى يا (يوسف) .. ليس هناك
ما يدعوك إلى القلق بشأنى ، فأنا سعيد بحياتى هنا ، وبوجودى
في هذا المكان الثانى ، سعيد بعمل فى معمل البترول ، وليس
هناك ما يمكن أن يجلب لى السعادة هنا سوى عمل .. ألا يكفيك
أن تعلم هذا ، لتركنى أنعم بسعادتي ؟ .. ألا يكفيك أن تعلم
أن أية محاولة للتقريب فى حياتى الخاصة ، والبحث فيها عن روابط
وعلاقات ، يثير بداخل بعض المشاعر المؤلمة ، التى أبذل أقصى
جهدى لتجنبها ؟ .. ألا يكفيك هذا ، لتتبع عن خوض تلك
الأمر مرة أخرى ؟

ابتسم (يوسف) ، مغفمًا :

— إنه يكفى ، فالمهم هو أن تظل سعيدًا .. والآن .. هل
تصحبني إلى النادي ؟ لقد أحضروا بعض شرائط الأفلام
الأجنبية والعربية الحديثة ؟

خالد :

— كنت أود ذلك ، ولكن يبدو أننى قد أرهقت نفسى
كثيرًا اليوم ، وأحتاج إلى بعض الراحة والنوم
يوسف :

— كما يحلو لك ، ولكن لا تنس الاستيقاظ مبكرًا . لتصحنا
إلى موضع الحفر كطملك .. نوما هينا .

غادر (يوسف) الحجرة ، وبقي (خالد) وحده يفكر .
— أهذه هى السعادة . التى يرنجوها حقًا ؟ .. أهو سعيد
بحياته ، أم أنه يفر من أحزانه فحسب ؟ .. تلك الأحزان التى
ظن أنه قادر على دفن سعادته فى الرمال معها ..
وعاد يستلقى فى فراشه محاولاً اصطياذ النوم ، الذى فر من
عينه تمامًا ، وذكرياته تسبح به إلى الماضى ..

— إلى قبال جدته ، حيث كان يذهب فى الماضى ، وهو بعد
صبي فى الثانية عشرة من عمره ، خلال العطلات الصيفية ..
هناك التقى بـ (ليل) ، الإنسانية الوحيدة التى أحبها فى هذا
العالم ، منذ عرف قلبه معنى كلمة حب ..
الإنسان التى دفعته إلى هذا السجن ..

فَيْلًا الْجَدَّةُ (نازك هانم) في الإسماعيلية ، هي آخر ما تبقى من مظاهر الأرستقراطية لهذه السَّيِّدة الطَّيِّبة ، التي تنسب إلى أسرة كبيرة لربة ، ذات عراقية ، وإلى زوج من كبار مفتشى الرى بالأقاليم ..

و (نازك هانم) هذه هي جدة (خالد) ، الذي فقد جده ووالده منذ طفولته ، وكانت أسعد أوقاته هي تلك التي يقضيها في فيلًا جدته بـ (الإسماعيلية) ، في الإجازات الدراسية الصيفية ، يهرح وينطلق حرًا ، وينعم بخنان وتدلُّيل جدته ، التي لَكِنَّ لَهُ اعتزازًا خاصًا ، وحبًا وحنانًا جارفين ، ربَّما لأنَّه نشأ بهيما ..

ولم يكن التدليل والحنان وحدهما ما يجذبان (خالد) ، في تلك الفترة ، وإنما أيضًا لقائه العائلي بعمه الدكتور (خيرى) ، وابن عمه الآخر (محسن) ، الذي يماثله في العمر ، بل الأكثر أهمية هو لقائه بـ (ليل) ، التي تقطن المنزل المجاور لفيلًا جدته ، والتي تفتح قلبه على حبها ..

وكانت (ليل) تقيم في فيلًا والدها الدكتور (فؤاد) ،

*****١٦*****

وكان هذا الأخير وزوجته صورتين للشَّل والعلَّية والإنسانية ، على نحو يعجز معه ألا يمنحهما الناس كل حب واحترام وتقدير ، فلقد وهب الدكتور (فؤاد) نفسه لمهنة الطب بكل إنسانيتها ، دون أن يحدِّعه هريق المادة ، وتجذبه العيادات الخاصة ، ولطالما رآه (خالد) يهرول في ساعات متأخرة من الليل ، لعلاج مريض فقير بسيط ، وكأنه يذهب لأداء واجب مقدس ..

وعلى الرغم من أن جدته كانت من ذلك النوع ، الذي يصعب عليه إقامة علاقات قوية مع الآخرين ، إلا أنها كانت تعبر الدكتور (فؤاد) وزوجته كابنين لها ، وتعبر (ليل) حفيدتها ، ولقد نشأت علاقة قويَّة بين عمه الدكتور (خيرى) والدكتور (فؤاد) ، وأصبح يقضى معه جل وقته ، كلما قدم إلى (الإسماعيلية) ، وبحكم هذه العلاقة الوطيدة ، توطدت الصلة بين أبناء العم (خالد) و (محسن) ، وبين (ليل) ، فراحَت هذه الأخيرة بدورها تتطَّلع إلى العطلات المدرسية ، في انتظار حضورهما ، وقضاء الأوقات المرحية السعيدة لها ، بصحبتهما ، وكذلك كان (خالد) يتعجَّل الأيام ليلتقى بها ، وإن تعدَّت لفته رغبة المرح واللَّهو إلى عاطفة حائرة ، عجز صباه عن تبيُّنها ، إلى أن أباه شبابه فيما بعد أنها عاطفة متقدِّمة ، يطلقون عليها اسمًا يجمع كل أحاسيسها ..

*****١٧*****

كان كل ما يبغيه هو أن يقى إلى جوارها ، وأن يرى شعرها
الذهبي المتطاير مع هبات النسيم ، وابتسامها الحلابة تتراقص
فوق شفتيها ..

وكانت متعة هي دُعاباتها الشقية ، وهي تلقى حبات
العنب فوق رأسه ، أو تخفى حذاءه ، وتجعله يقلب فيلاً جدته
كلها بخا عنه ..

ولكنه لم يكن وحده هدف دُعاباتها ، فلقد كان النصب
الأكبر منها لابن عمه (محسن) ، الذي كان أكثر قدرة على
التجاوب مع مزاحها ، وأكثر مقدرة على جذب الانتباه ، بما
توافره له من طيبة مرحة وحيوية ، وانطلاقة في الحديث ، في
حين كان هو عجولاً قليل الحديث ، وإن ماجت أعماقه بخضم
من مشاعر حية ، يعجز لسانه ذوقاً عن التعبير عنها ..

وعندما بلغ مرحلة الشباب ، وأمكنه أن يشرح انفعالاته
ومشاعره ، كان الوقت قد مضى .. إنه يذكر ذلك اليوم ،
عندما انفرد بـ (ليلي) ، في منزل جدته ، وهو يستذكر ويشرح
لها بعض دروس اللغة الإنجليزية ، ثم توقف عن الحديث ،

واختل النظر إلى والدها ، الذي ينهى أحد أدوار الشطرنج مع
عمه ، بعد أن استدعاه أحد المرضى ، وأسرع يغادر القبلات تاركاً
ابنته ، وصعد العم إلى حجراته لبعض الراحة ، وكانت الجدّة
قد استسلمت للنوم منذ ما يقرب من الساعة ، ووجدتها
(خالد) فرصة مناسبة ، مواتية للتعبير عن عواطفه ومكنونات
قلبه ..

ولم يكن ذلك سهلاً أبداً ..

لقد تردّد طويلاً ، وتشتت ذهنه كثيراً ، ولاحظت (ليلي)
اضطرابه ، فحدّثت فيه ، قائلة :

— (خالد) .. أهناك شيء ؟ !

أغلق الكتاب ، وهو يقول :

— نعم .. (ليلي) .. أريد أن .. أن

ارتسمت على شفتيها ابتسامة صغيرة ، لم تلبث أن اتسعت ،
ونحوّلت إلى ضحكة كبيرة ، زادت من اضطرابه ، فسأها
متوتراً :

— لم تضحكين ؟

سيطرت على ضحكتها ، وهي تقول في قليل من الجدّة :

— معذرة ، ولكنك ذكرتني بما كنت عليه في العام

الماضى ، عندما رُحِت ترْدَد نفس الكلمات المطعّمة لنصف
ساعة كاملة ، لتخبرنى فى النهاية بأنك ترغب فى استعارة إحدى
رواياتى .

خالد :

— ربما فعلت ذلك ؛ لأن الرواية لم تكن مطلبى الحقيقى .
سألك فى خيرة :

— ما الذى كنت تريد إذن ؟

أجابها مرتبكًا :

— نفس ما أريده الآن ، وأعجز عن التعبير عنه .

أطلقت ضحكة سريعة ، ابتلعها فى سرعة أكبر ، وهى

تقول :

— أتعلم أنك تبدو لى أحيانًا شديد الغرابة ؟ فعل الرغم
من الصداقة القوية ، التى تربطنا منذ طفولتنا ، وساعات اللهو
والمرح ، التى عشناها معًا ، إلا أنك تبدو أحيانًا كما لو أننا نلتقى
لأوّل مرّة ، فبدو متحفّظًا للغاية ، أو مرتبكًا بلا مبرّر .. لقد
رَوّث لى جدّتك الكثير عن طبيعتك الحسّاسة المزهفة ، ولكنى
أعتقد أن صداقتنا الطويلة لا تستحق تلك الحساسية المفرطة .

قال فى سرعة :

***** ٢٠ *****

— حسنًا .. هل يمكنكى أن أخبرك إذن ؟

قاطعه صوت الباب وهو يُفتح ، وصوت شاب يهتف فى

مرح :

— هأنذا .

تلاشى اهتمام (لى) بـ (خالد) على الفور ، وارتسمت

على وجهها فرحة حقيقية ، وهى تهتف :

— (محسن) !

واندفعت إلى حيث يقف هذا الأخير ، وصافحته فى

حرارة ، وهى تعاتبه قائلة :

— لماذا لم تأتِ مع بداية الإجازة كما وعدت ؟

محسن :

— ألم يخبرك (خالد) وأنى أنى ذهبت برفقة بعض

الأصدقاء إلى (الإسكندرية) ؟

لى :

— هل أصبحت (الإسكندرية) تُروّق لك أكثر من

(الإسماعيلية) ؟

محسن :

— أنت تعلمين جيّدًا أنه ما من مكان فى العالم كله ، أحبُّ

***** ٢١ *****

إلى نفسى من هذا المكان .. يكفى أننى ألتقى فيه بأمرى
(ليل) .

ضحكت قائلة :

— يالك من مدّع منافق !

هتفت مستكراً :

— أنا مدّع ومنافق ؟!

ليل :

— نعم .. ولكنك خفيف الظل .

محسن :

— هذه شهادة أعتزُّ بها بأمرى .

هتفت (ليل) مستكرة ، وهى تنظر إلى (خالد) ، الذى

وقف إلى جوار مقعده ، مستعداً لمصافحة ابن عمه :

— أنسيت أن تصافح (خالد) ؟

تقدم (محسن) نحو (خالد) ، وهو يقول :

— آسف يا (خالد) ، ولكنك تعرف القواعد ، لابد من

الانحناء للأميرة أولاً .

صافحه (خالد) ، وقد ملأ الضيق قلبه ..

هذا هو الفارق بينه وبين (محسن) ..

(محسن) منطلق فى حديثه ، لا يمل من مداعبة (ليل)

بكلمات الغزل المرحية ، وهى لا تبدى اعتراضاً على

***** ٢٢ *****

ذلك ، بل يبدو أنها تسعد بسماعها ، وتدفع (محسن) دوماً
لقول المزيد منها ..

لقد تصوّر أن انفراده بـ (ليل) سيجلب له قول كل ما يملأ

قلبه لها ، ولكن (محسن) جاء ليفسد كل شيء .

ولكن .. أيمكن أن يكون لى قلب (محسن) أيضاً الكثير

لـ (ليل) ؟ ..

أيمكن أن تكون عبارات الغزل هذه حقيقية ؟ ..

إنه يعرف (محسن) جيداً ، فهو بالفعل شخصية مرحة

ظريفة جذابة ، ولقد رآه فى الجامعة يغازل ويداعب عشرات

الفتيات بالأسلوب نفسه ، دون أن يغيب هذا لى نفسه شيئاً ،

فهل هذا هو الحال نفسه مع (ليل) ، أم أنه يخلصها بمحاطفة

أخرى ؟ ..

ولماذا قطع إجازته لى (الإسكندرية) ، وهرع إليها ؟ ..

ألم يقو على فراقها ؟ ..

وما معنى كل اللهفة على وجه (ليل) ؟ ..

لقد احتفظ هو نفسه لى دحيته بحب (ليل) طويلاً ، دون

أن يفصح عنه حتى لها ، أفمن الممكن أنها و (محسن) يحملان

لبعضهما البعض هذا الشعور ؟ ..

***** ٢٣ *****

***** ٢٤ *****

إن (ليلي) لم تستقبله هو بكل هذه اللهفة والسعادة ، اللتين
رآهما على وجهها ، عندما وصل (محسن) ، كما أنه يتذكر ذلك
المزيج من الحزن والضيق في ملامحها ، عندما أخبرها أن
(محسن) لن يأتي إلى (الإسماعيلية) ..

أيقظه صوت (محسن) ، وهو يقول :

— مالك تبدو شاردًا هكذا يا (خالد) ؟

خالد :

— لا شيء .. لا شيء ..

محسن :

— مظهرك لا يوحي بأنك ترهب بقدمي .

خالد :

— كيف تقول هذا ؟ .. إن وجودك هو ما ينقصنا ، منذ

بدأت الإجازة .

تطلع (محسن) إلى (ليلي) بنظرة ذات مغزى ، وهو

يقول :

— أنا أيضًا لم أفكر على الابتعاد عنكما ، ولم يكن لإجازتي

طعم بدونكما ، وأعتقد أنني سأحمل هذا الشعور دومًا ، حتى

ولو قضيت إجازتي في (باريس) ..

* * * * *

تضرج وجه (ليلي) بخمرة الحجل ، وأطرفت أرضًا ، وقد
أدركت المعنى الواضح في عبارة (محسن) ، وأن عبارته ، على
الرغم من أنها تحمل صيغة الجمع ، كانت تقصدها وحدها ،
وقالت محاولة الفرار من شعورها بالخرج :

— لقد تأخر الوقت .. سأترككما الآن ، وللتقي في

الصباح .

غمغم (خالد) ، وهو يشعر بالكثير من القيرة والضيق :

— سأوصلك إلى منزلك .

غمغمت :

— لا داعي .. القيلًا بعد بضعة أمتار .

أسرع (محسن) بمسك مرفقها ، قائلاً :

— ولكن من الضروري أن يوصلك أحدنا ، وبالذات في

هذا الوقت المتأخر .

قال (خالد) معترضًا في ضيق :

— لقد وصلت من السفر على التو ، ولا ريب أنك متعب .

ابتسم (محسن) ، وقال وهو يرمق (ليلي) بنظرة خاصة :

— ومن يشعر بالتعب ، في رفقة أميرة فائنة ؟

ضحكت (ليلي) ، وهي تقول على نحو مسرحي :

* * * * *

وقفت (ليلي) تجمع بعض الزهور من حديقة منزلها ، في
الصباح التالي ، وسمعت صوتاً يهتف :
— ليلي .

التفتت إلى مصدر الصوت ، ورأت (خالد) يدفع بؤابة
القيلا المعدنية ، ويدلف إلى الحديقة ، فقالت في مرح :
— ما كل هذا النشاط ؟ .. لم أتصور أنك ستبقى مبكراً
هكذا !

— إنني أستيقظ دوماً مبكراً .
— لم لا تأتي إلى حديقتنا يومياً إذن ؟ أنت تعلم أنني
أستيقظ مبكراً .
— لم أشأ إزعاجك .

— إزعاجي ؟! .. هل ستعود إلى تلك الرسميات ؟
ومذت له يدها بزهرة بنفسج . مستطردة :
— لا ريب أن ابن عمك الكسول ما يزال نائماً .
القط الزهرة ، وهو يتطلع إليها في صمت ، فسأته في

خبرة :

***** ٢٧ *****

— لا بأس ، مادمت تضر أيتها الفارس .

اصطحبها (محسن) ، وهو يهتف بـ (خالد) :
— أعد (الدومينو) وانتظرنى ، فلن أنام مبكراً الليلة .
راقبهما (خالد) وهما يغادران المنزل ، وأنفاسه تثقل
عليه ، فكثيراً ما شعر بأن (محسن) صديق مزعج ، خاصة
عندما يراحه في الاهتمام بـ (ليلي) ، أما الليلة فقد أدرك أن
(محسن) قد صار منافساً له ..

هذا لو أن له مكاناً في قلب (ليلي) ..
وليحترف أنها تهم بـ (محسن) ، وليس به ..
ولكن هل يخبرها بحقيقة مشاعره ؟ ..
أيقول غذا ما قاطعه (محسن) الليلة ؟ ..
أم ينتظر حتى يتبين حقيقة مشاعرها نحوه ؟
وراح قلبه ينبض في ألم ومرارة ..
واختلطت نبضاته بدقات الساعة ..
وبالخبرة ..

***** ٢٦ *****

— أهنأك ما يشغل فكرك ؟

غمغم مرتبكا :

— (ليل) .. أيمكن أن نسير معا بعض الوقت ؟

ازدادت خيزتها ، وهي تقول :

— الآن ؟ .. ولكن الوقت مبكر جدا ، لم لا تنتظر حتى

نلتقى جميعا على الشاطئ ، في موعدنا المعتاد ؟

— لأننى أريد أن أتحدث إليك الآن .. وحدنا .

— هل الأمر بهذه الأهمية ؟

— نعم .

— حسنا .. سأخبر والدي وأصحبك ، فهناك أمر

مهم ، أريد أن أتحدث فيه معك ، وأظن هذا الوقت يناسبه

أيضا .

واقبها وهي تدلف إلى القفلا ، وتساءل :

— ما الذى ترغب فى التحدث إليه فيه ؟ .. هل تحمل له

بعض المشاعر ؟

إنه يريد حسم الأمر اليوم ، على كل الأحوال ، حتى يعرف

حقيقة مشاعرها نحوه ، وينقل قلبه من الخيرة والعذاب .

وعندما عادت إليه ، وسارت إلى جواره على الشاطئ ،

قالت :

* * * * * ٢٨ * * * * *

— حسنا .. ما الذى تريد قوله لى ؟

غمغم مترددا :

— أخبرينى أنت أولا ما لديك .

صمت لحظات ، ثم قالت فى خفوت :

— إنه أمر يتعلق بـ (محسن) .

توقف عن السير ، وحدق فى وجهها مغمفما :

— (محسن) ؟

قالت فى خجل :

— نعم .. (محسن) .. لقد صار حتى أمس .

هتف :

— صارحك بماذا ؟

ازداد توردد وجهها خجلا ، وهي تخيب :

— أنت تعلم مدى ثقتى بك وتقديرى لك يا (خالد) ،

فأنت أقرب صديق لى فى هذا العالم ، ولهذا سأخبرك بكل

شئ .. لقد صار حتى (محسن) أمس بأنه يحبنى ، ويرغب فى

الزواج منى فور حصوله على البكالوريوس هذا العام .

بدت الصدمة القاسية فى ملامحه ، فى حين لاذت هى

بالصمت ، حتى سألها هو فى صوت شاحب :

* * * * * ٢٩ * * * * *

— أنت واثقة من مشاعره هذه ، ومن جذبة عرضه ؟

ليل :

— لست أدري .. هذا أحتاج إلى مشورتك ، فأنت تعرف

(محسن) جيدًا ، إنه يبدو دومًا عابثًا لاهيًا ، يتعامل مع كل

الأمور في استخفاف ، ولا يقيم وزنًا للمشاعر ، ولكنني شعرت

بصدقه حقًا أمس .

اعتصر كلماته من شفبه في صعوبة ، وهو يقول :

— وماذا عنك ؟ .. هل تحينه ؟

أطرقت برأسها أرضًا ، وهي تغمغم في لحفوت :

— إنني أكرم هذا الحب في قلبي منذ طفولتنا ، خشية أن

يكون (محسن) من ذلك النوع ، الذي لا يقيم للمشاعر وزنًا ،

ولقد أخفيت حبي بغلاف من الصداقة ، حتى لا يُصدم برفض

(محسن) له ، ولا يمكنك أن تصوّر مدى سعادتي ، عندما

صارحني بحبه أمس ، وعلى نحو جاد تمامًا ، وإن كنت أجهل

لماذا تبدو لي تلك السعادة ناقصة .. ربّما لحوى الشديد ..

أشاح بوجهه عنها ، وراح يتطلّع إلى البحر ، محاولًا إخفاء

آلامه وحزنه ، وقال في صوت يحمل شقاء الدنيا كله :

— إذن فأنت تحينه ؟

*** ٣٠ ***

وتبدلت قسماته ، وهو يلتفت إليها بغتة ، مستطرذا في

جذبة :

— ولكن لماذا ؟ .. لماذا لم

بتر عبارته في صعوبة ، وهو يذل أقصى جهده للسيطرة

على مشاعره ، فطلعت إليه هي في خيرة وقلق ، وغمغمت :

— ماذا تريد أن تقول ؟

نجح في السيطرة على مشاعره ، وبدأ لها صوته أكثر هدوءًا

وحزنًا ، وهو يقول :

— لماذا لم تخبريني بذلك من قبل ؟ .. ألسنت صديقك

الوحيد كما تقولين ؟

تعلقت بذراعه ، قائلة :

— لا تجعل لديك أدنى شك في هذا ، ولكنني لم أخبرك ،

لأنني كنت أجهل حقيقة مشاعره ، وخشيت أن تدفعك

صداقتك له إلى إخباره ، فيتخذ من الأمر مدعاة للسخرية مني ،

ولحظتها كنت ساكره كما معًا ، وأنا أبصر أن يحدث ذلك ،

والفضل أن يبقى (محسن) إلى جوارى صديقًا ، بدلًا من أن

أفقده تمامًا .

حس دموعه في صعوبة ، وهو يقول :

*** ٣١ ***

— وماذا تريد مني الآن ؟

غمغمت :

— أريد رأيك ، الذي أبقى فيه كثيرًا .

ابتسم في مرارة ، قائلاً :

— وما قيمة هذا الرأي الآن ؟ .. لقد حُسم الأمر ، فكلانا

يحب الآخر ، وقد تصارحتما ، واتفقتما على الزواج .

هتفت في دهشة :

— (خالد) .. إنك لم تتحدث إلي أبدًا هكذا !!

قال لي ضيق :

— معدرة ، ولكنني أخشى أن تكونا قد تسرعتما ،

والتسرع في مثل هذه الأمور يلحق بالمرء الكثير من الأذى ،

فليس هناك ما هو أقسى من صدمات الحب .

بدت بعض ملامح الخوف لي عينيها ، وهي تقول :

— ولماذا تفترض أن حبنا سيتعرض لصدمة ؟

خالد :

— أنت قلت ذلك ، فأنت لا تقين في إخلاص ووفاء

(محسن) ، وتحشين أن تنطبع عواطفه بشخصيته .

ليل :

— ليثك تؤكد لي أن هذا غير صحيح .

خالد :

— أرايت ؟ .. أنت لا تسعين لمعرفة رأيي ، بقدر ماترغبين

في سماع عبارة تأيد تطمئنك على سلامة عاطفة ترغيبها ،

وتريدين الاستمرار فيها إلى النهاية ، ولكن هذا خطأ ، فالحب

الحقيقي لا يحتاج إلى تصديق أو تأيد ، فلو أنك تحبين (محسن)

حقًا ، فستخطرين معه في عاطفتكما حتى النهاية ، مهما بلغت

مخاوفك .

ليل :

— حديثك هذا يزيدني قلقًا .

خالد :

— الأمر لا يستحق هذا ، فحتى لو لم يكن (محسن) هو

الشخص المثالي ، الذي تمنينه ، فأنت تحبينه ، وهذا هو المهم ،

والحب وحده قادر على أن يذل الكثير من شخصية المرء ،

ولست أعتقد (محسن) بهذا السوء الذي تظننه ، فقد يهوى

العبت والاستخفاف بالأمور ، ولكن الأمر يختلف تمامًا ، عندما

ينظر إلى أمر ما نظرة جادة ، وليس هناك ما هو أجدر بتلك

النظرة الجادة ، من الحب والزواج .

ليل :

— كم يسعدني أن هذا رأيك !

*** ٣٣ ***

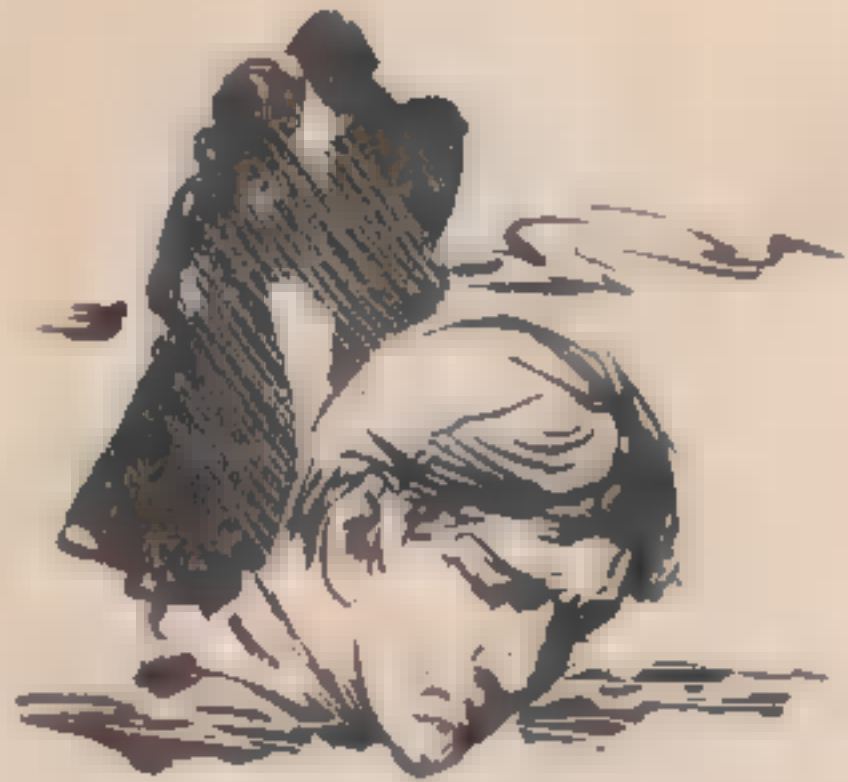
*** ٣٤ ***

— لا.. إنه مجرد شعور ..

لم ينطق أحدهما بكلمة واحدة بعدها ، وسارا متجاورين في صمت . وإن شعرت (ليل) في أعماقها أن (خالد) لم يكن صادقًا معها ..

وأنه يخفي أمرًا ما ..

أمرًا يتعلق بها ..



* * * * * ٣٥ * * * * *

خالد :

— وكم يسعدني أن هذا قد أسعدك !

قالها وأردف في سرعة ، قبل أن تغلبه مشاعره :

— والآن هل نعود ؟

سألته في خيرة :

— وماذا عنك ؟.. إنك لم تخبرني بالأمر الذي أردت أن

تحدثني به !

أطلق من أعماقه زفرة قصيرة ، وقال :

— لم يَغْدِ هناك من داع له .

سألته في خيرة :

— ماذا تغني ؟

شرد بصره نحو هدف وهمي ، وهو يقول :

— لغني أنه يتعلق بما أخبرتني أنت به ، فلقد شعرت أن

(محسن) يحمل لك عاطفة قوية ، وأردت أن أخبرك بهذا بحكم

صداقتنا .

سألته في هفوة :

هل صارحك بشيء ؟

أجابها في مرارة :

* * * * * ٣٤ * * * * *

٤ — رسالة غير متوقعة...

١ لم لم تخبرني ؟ .. ٢ ..

نطقها (خالد) في مرارة ، فالتفت إليه ابن عمه

(محسن) ، وقال في هدوء :

— أخبرك بماذا ؟

قال في ضيق :

— بأنك تحب (ليل) ، وتوى الزواج بها .

ابتسم (محسن) ، وقال :

— هل أخبرتك هي ؟

خالد :

— قل لي : هل تحبها حقاً ؟ .. أغيبى هل أنت جاد في هذا

الشأن ؟

محسن :

— وهل تحمل مثل تلك الأمور الهزل ؟

خالد :

— لقد رأيتك تهزل كثيراً في أمور شبيهة ، وآخرها قصتك

مع (مديحة) في الكلية .. هل نسيها ؟ .. لقد أوقعت المسكينة

* * * * *

في حبك بكلماتك المعسولة وعواطفك المصطنعة ، ثم بذعها
وتخلّيت عنها ، وحطمت قلبها بلا شفقة ، حتى أنها حوّلت
أوراقها إلى كلية أخرى .

محسن :

— ولماذا تذكر هذا الآن ؟ .. لقد أخبرتك من قبل أنني لم

أجد (مديحة) بشيء وليس ذنبى أنها قد أساءت لتفسير مجاملاتي
لها ، وتصوّرتها نوعاً من الحب .

خالد :

— أنت تدرك مدى كذبك ، وأنت تردّد هذه القصة ،

فالكلية كلها تعلم أن الحب هو أعبأك المفضلة .

هتف (محسن) :

— (خالد) .. لست أسمع لك .

قاطعه (خالد) في غضب :

— بل أنا الذي أرفض السماح لك بتكرار تلك اللعبة القادرة

مع (ليل) بالذات .

صاح (محسن) :

— لا يا (خالد) .. (ليل) بالنسبة لي تختلف ، فهي

صديقة طفولة ، ولو أردت العبث بعواطفها لفعلت منذ زمن ،

* * * * *

ولكنى أشعر ذوقاً بأنها أقرب إنسانة إلى قلبي ، وإن كنت أجهل
ما إذا كان ذلك حباً ، أم أنه نوع من الصداقة القوية ، والروابط
المتينة ، التي تجمع بيننا وبين أسرتنا !.. ولقد خشيت طويلاً
أن أكشف لها عن حقيقة مشاعري ، خوفاً من ذلك ، فد (ليلي)
ليست الفتاة التي يبحث أي مخلوق بعواطفها .. إنها تختلف كثيراً
عن الأخريات ، ولقد تأكدت من حقيقة شعوري نحوها ،
عندما سافرت مع أصدقائي إلى (الإسكندرية) .. لقد شعرت
بالضيق والاكئاب والوحدة بين الأصدقاء ، وشعرت بدافع
قوي يجذبني إلى هنا ، وعلمت عندئذ أنني أحبها ، وقررت أن
أبوح لها بهذا الحب .

أطرق (خالد) برأسه ، وهو يهمهم :

— إذن فأنت والتق من حبك لها .

هتف (محسن) في حرارة :

تمام الثقة ، وأظنها تبادلني هذا الحب .

خالد :

— وهل أنت جاذ في أمر زواجك منها ؟

محسن :

— بالطبع .. سأعلن خطبتي لها فور حصولي على شهادة

البكالوريوس هذا العام .

* * * * *

خالد :

— وهل أخبرت عمى بذلك ؟

محسن :

— سأخبره ، ولكن بعد حصولي على البكالوريوس ، فليس
من المستساغ أن أذهب إليه ، وأنا طالب جامعي ، وأخبره
برغبتي في الزواج ، وما زلت أتقاضى مصروفي منه .

تطلع إليه (خالد) في ارتياح ، ولكن (محسن) فجع
ذراعيه له ، قائلاً بابتسامة :

— (خالد) .. أنت ابن عمى ، وصديقي ، وصديق
(ليلي) منذ الطفولة .. أريد أن أرى نظرة السعادة في عينيك
لأجلنا .. لا نظرات الشك والريبة ، فأنت الوحيد الذي تعلم
حبنا الآن ، وأريد منك أن تكون أول من يهتئنا .

اغرورقت عينا (خالد) بالدموع ، واحتضنه في حرارة ،
قائلاً :

— أرجو لكما سعادة دائمة .

ثم أضاف في انفعال :

— ويمكنك اعتبار هذه تهنة مؤقتة ، والتهنة الحقيقية يوم
خطبتكما .

* * * * *

محسن :

— أشكرك يا بن عمي العزيز .

خالد :

— ولكن تذكر ما قلته لك .. لن أسمع لك بتعظيم قلبها

أبدا .

ضحك (محسن) ، وهو يقول :

— اطمئن .. ستبقى (ليل) في قلبي وعيني دوماً .. والآن

اسمح لي ، فسأذهب للقائها وحدي ، فلدي الكثير لأخبرها به .

قالها وأسرع يغادر القبلا في هفة ، وهو يلوح بذراعيه ،

و (خالد) يراقبه بقلب يعتصره الألم ، قبل أن يلصق جبينه

بالحائط ، ويغمض عينيه مرذفاً :

— وداعاً لكل شيء .. وداعاً يا أحلامي ، ويا حبي الذي

لم يَرِ النور .. وداعاً .

غادر (خالد) فراشه ، في ذلك القطر العربي ، وقد

أعجزته ذكرياته عن النوم ، وانتابه شعور بالاختناق ، ففتح

النافذة ، وراح يتطلع منها إلى الصحراء الممتدة أمامه بلا نهاية ،

وعادت به ذكرياته مرة أخرى إلى الشهور الأولى من نحرجه ،

عندما ذهب ليسلم عمله في واحدة من شركات البترول .
ويبدأ حياته العملية ..

كان المفروض أن يكون هذا من أسعد أيام حياته ..

لولا ما حدث ..

لقد استقبله أحد أصدقائه ، عند مدخل منزله ، قائلاً :

— (خالد) .. أسمع لي ؟

صافحه (خالد) في حرارة :

— أهلاً بك يا (ممدوح) .. تفعل .

ممدوح :

— شكراً ، ولكنني على عجلة من أمري ، ولقد أتيت

لأسلمك رسالة هامة ، قبل سفري إلى (الإسكندرية) غداً .

سأله (خالد) في دهشة :

— أية رسالة ؟

ممدوح :

— رسالة من (محسن) ، أعطاني إياها قبل سفره ،

وأوصاني بضرورة تسليمها لك .

هتف (خالد) ، وقد تضاعفت دهشته :

— ماذا تقول ؟ .. هل سافر (محسن) ؟

— ممدوح :

— عجباً !!! ألا تعلم أنه قد سافر فجر اليوم إلى

(ألمانيا) ؟

هــف (خالد) :

— لماذا ؟ .. ما الذى سيفعله هناك ؟

ممدوح :

— لقد كان يرسل فتاة ألمانية منذ أيام الدراسة ، ويدور أنها

قد ساعدته على الحصول على عمل جيد ، فى واحدة من شركات

الكيمائيات الألمانية ، ولقد أرسلت إليه منذ أسبوعين ،

وطلبت منه السفر على الفور ، وتسلم عمله هناك .. عجباً !!!

كيف لم يخبرك بذلك ؟ .. على أية حال ، لاشك أنه قد شرح

لك كل شيء فى خطابه هذا .

أخذ (خالد) الخطاب ، وأسرع يصعد إلى منزله ، حيث

لخصه فى لحفة ، وراح يقرأ :

— عزيزى (خالد) :

قد يدرك لك الأمر مفاجئاً ، ولكنك مستقدر ، موقفى

حتمًا ، فلقد أردت الاحتفاظ بالأمر سرًا ، لأننى أعلم أن

الكثيرين سيعترضون على أمر سفرى إلى (ألمانيا) ، ولَمْ أكن

لأضيع تلك الفرصة أبدًا ، فهى فرصة عمرى ، والمرء لا يلتقى

بفرصة عمره مرتين .. لقد كنت أرسل إحدى الألمانية منذ

عدة سنوات ، حتى توطلدت علاقتنا ، وهذه الفتاة ابنة واحد

من كبار رجال الصناعة فى (ألمانيا) ، وهو يمتلك عدة

شركات ، من بينها شركة للكيمائيات تناسب تخصصى ،

وقدّمت لى الفتاة عرضًا للعمل فى هذه الشركة ، وقبلته على

الفور ، وقرّرت السفر إلى (ألمانيا) ، وأخبرت والدى قبل

السفر بساعة واحدة ، ولكنى لم أستطع إخبار (ليل) ، فأنت

تعلم صعوبة شرح شيء كهذا ، وإقناعها به ، مع استعدادها

الدائم لإساءة الظن بى ، لذا فقد رأيت أن أترك الأمر لك ،

لتؤلاه نيابة عنى .. ينبغى أن تقنعها بأن سفرى المفاجئ ليس

له من هدف ، سوى تأمين مستقبلنا ، وأن حُبها سيقبى دومًا

فى قلبى ، ولن تُنقص من الأيام أو المسافات ، أما بالنسبة للزواج

والاستقرار ، فسأرسل إليها قريبًا ، بعد أن تستقر الأمور فى

(ألمانيا) ، كما سأرسل لك عنوانى قريبًا ، لتظل على اتصال

بى ..

وداعًا .. وأدعو لك بالتوفيق ..

(محسن)

طوى (خالد) الخطاب ، وألقاه في عنف وغضب ، وهو

يهتف :

— الوغد .. لقد تخلى عنها .. تخلى عن (ليل) ..

وبكى قلبه من أجلها ..



* * * * *

٥ — من أجلك ..

ارتجفت أصابع (ليل) ، وشخب وجهها ، واكتسى بحزن عميق ، وهي تطالع خطاب (محسن) ، ولكنها حاولت أن تخفى ذلك ، وهي تفهم :

— من الصعب أن يترك مثل هذه الفرصة .. أليس كذلك ؟

خالد :

— كان الجميع يعلمون أنه سيتقدم ليخطبتك خلال أيام ، فكيف لم يقدر هذا عند سفره ؟ ولماذا اختار هذا التوقيت بالذات للسفر ؟ .. كان عليه أن يخبرك على الأقل ، ويُعذرك لاستقبال أمر كهذا ، بدلاً من أن يكتفى برسالة من بضعة أسطر ، يتركها بعد رحيله .

ليل :

— لقد ذكر في رسالته أنه خشى أن تؤثر على قراره بالسفر .

خالد :

— بل خشى أن يتحمل مسؤولية ارتضاها لنفسه .

هتفت محتجة :

* * * * *

— (خالد) .. ماذا تقول ؟

خالد :

— أقول الحقيقة .. صحيح أن (محسن) ابن عمى ،
ولكننى أعرفه جيدا .. هو أنالى .. متقلب العاطفة .. لقد
لاحظت بنفسى تطوّر علاقكما فى الآونة السابقة .. أنت
بنفسك أخبرتنى عن فتور عاطفته نحوك ، وتباعد مرات لقائه
بك ، على الرغم مما كان يديه سابقا من لفة واشتياق إليك ..
وأنت نفسك لاحظت أنه يماطل فى أمر الخطبة ، ورغم وعده
بالاقتران بك ، ورغم موافقة عمى وترحيه بالأمر .. كل هذا
جعلنى أشك فى مشاعره نحوك .. وجذبة ارتباطه بك .

ارتسم الفزع على ملامحها ، وهي تهتف :

— لا يا (خالد) .. لا تنقل ذلك .. أنت لا تعرف كم أحب

(محسن) !! وكم بيت من آمال على هذا الحب !!

صار صوته حثوثا مشفقًا ، وهو يقول :

— ليت يدرك هذا ، ويدرك قيمة هذا الحب ، ويعرف كيف

يحافظ عليه .

قالت فى صوت مرتعش ، وكأنها تحاول أن تطمئن نفسها :

— ولكنه سيعود .. سيعود أو يربأ الأمر على أى نحو :

ليت ارتباطنا .

قال فى مرارة :

— ليتك على حق ، وليته يخيب ظننى ، فما أحب إلى أن

أراك سعيدة !!

وقد تحققت كل أحلامك .

ارتحفت يدها عندما احتضنتها بكفيها ، وهي تقول :

— أنت الصديق الوحيد الذى أثق به ، وأشعر بالأمان فى

وجوده يا (خالد) ..

حاول أن تظل قريبًا منى فى الفترة القادمة ، فهناك خوف

بعتربنى .

جذب يده من يدها ، حتى لا تشعر بارتجاعته وهو يقول :

— مستجدينى قريبًا منك دومًا يا (ليلي) ، وطوع بنالك

وتأكدى أنه لا محل للخوفك مادمت بالقرب منك .

قالت (ليلي) فى امتنان :

— أشكرك يا (خالد) .. أشكرك كثيرًا ..

ولم يطلب أكثر من ذلك ..

بعد شهرين كاملين من هذا الحدث ، توجه (خالد) إلى

منزل عمه ، متسألًا :

*****٤٧*****

*****٤٦*****

— ماذا حدث يا عمي ؟ .. لقد أخبروني أنك تطلب
حضورى على الفور .

أجابه عمه فى صوت يحمل مزيجاً من الغضب والحزن :
— أخيراً وبعد شهرين كاملين ، انقطعت خلاهما أخباره ،
أرسل ابن عمك هذه الرسالة ، وبالفعل ، فلست أدري
كيف أسأت تربيته ، ليصنع لى كل هذا ؟ .. ألم يكنه أن فاجأ لى
بأمر سفره قبل ساعة واحدة منه ؟ وأنه سافر دون موافقتى ؟ ..
ألم يكنه أنه لم يهم طيلة شهرين كاملين بإرسال رسالة واحدة
يطمئننى فيها على أخباره ؟ .. ألم يكنه قلقى ومعاناتى من
أجله ؟ .. إنه يرسل رسالة مستهتره ، يقول فيها إنه سيستقر فى
(ألمانيا) وستزوج من ألمانية .. هكذا بكل بساطة واستهتار ،
ودون حتى عنوان للمراسلة ، متجاهلاً (ليل) المسكينة ، التى
تركها لى حكم خطيته ، ودون أن يفكر فيها لحظة واحدة ،
كيف ينسى يوم وافقت على زواجه منها ، فقفز صارخاً من شدة
فرحه ؟ .. كيف ينسانا جميعاً بهذه السهولة ؟

تقلصت ملامح (خالد) فى غضب هادر ، وهو يقول :
— هذا هو (محسن) .

ولم يكده الخبر يبلغ (ليل) ، حتى أطلقت صرخة مختقة ،
وترنحت وهى تهتف :

***** ٤٨ *****

— مستحيل !! .. مستحيل !! .. قل إنه خير كاذب .

أجابه (خالد) فى إشفاق :

— لا يا (ليل) .. إنه خير صحيح .. أليس هذا هو
(محسن) ، الذى حذرتك منه ؟ أليس هو من ارتبطت به ،
وأنت ترتابين فى صدق مشاعره ؟ .. ألم أقل لك إنه أنالى
مستهر ، لا يفكر إلا فى ذاته وحدها ؟

انحدرت الدموع من عينيها ، وهى تقول :

— ظننت أنه قد تغير .. تصورت أن حبه لى سيزم كل
نقائصه .

قال وكأنه يؤثبها :

— لقد حاولت إيهام نفسك بذلك ، على الرغم من أن
تصرفاته معك فى الشهور الأخيرة كانت تؤكد العكس .

قالت فى انكسار :

— ولكننى أحبه .

اندفعت الكلمات من بين شفاه غاضبة ، وهو يهتف :

— بعد كل هذا ؟ .. بعد أن تخلى عنك ، وتكر لوعده

معك ؟

قالت باكية :

***** ٤٩ *****

— أعلم أنه لا يستحق مجرد التفكير ، ولكن حبي له أقوى
من عقل .

صمت (خالد) قليلاً ، وتحوّل غضبه إلى نوع من
الشفقة ، وهو يقول :

— لو أننى أملك ما أفعله من أجلك ما ترددت لحظة ،
ولكن

قاطعه في خجل :

— ألا يمكنك أن ترسل له أى خطاب ؟ .. أغنى هل يمكنك
الاتصال به ؟

هتف في حدة :

— أتقبل أن

قاطعه في ضراعة :

— أعلم أن هذا يتعارض مع الكرامة ، ولكن

قاطعها :

— حسناً .. لقد فعلت .. توصلت إلى عنوانه في
(ألمانيا) ، على الرغم من أنه يعتمد إخفاءه عن الجميع ،
وأرسلت إليه خطابين ، علّه يتراجع عن فعلته ، وحاولت أن
أذكره بعهدك لك ، وأخاطب ضميره ، ولكنه أجابنى بخطاب من

سطر واحد ، يقول : « الزمن يتغير ، ومن المحتم أن تتغير
معه » ، فهل ترجين شيئاً من شخص كهذا ؟

حاولت أن تبدو متأسكة ، وهى تجلس فى بطة ، قائلة :
— أنت محق فيما تقول .. لم يغل هناك ما يؤرجى من شخص
مثله .

ولكن دموعها غلبتها ، على الرغم من محاولتها التحكم فى
مشاعرها ، فأنحدرت فوق وجنتيها دون أن تقوى على كبحها ،
وخفق قلب (خالد) لرؤية دموعها ، فجثا على ركبتيه إلى جوار
مقعداها ، ومسح دموعها بأصابعه ، قائلاً :

— لا تبكى يا (ليل) .. أرجوك .. لقد خشيت من
رؤيتك الخطاب لهذا .

هبت واقفة ، واندفعت تغادر الحجرة ؛ لتذرف دموعها
وحدها ، وتابعها هو بعينين ملوئهما الحب والحنان ، وهو يقول
فى أسى :

— لبتك تدركين كم أحبك !! وكم أنا أتم من أجلك !! لا أريد
أن تدركى مشاعرى أو تجهليها .. المهم أننى لا أطيق رؤيتك
تألمين .

وتطلع إلى صورتها المعلقة على الحائط ، وزفر في قوة ،
مستطرذا :

— وسأفعل أى شيء من أجلك .. أى شيء ..
وكان صادقاً ..



٦ — ثمن الحب ..

عقدت الجذّة ذراعها أمام صدرها ، وصرخت في (ليلي)
بشدة :

— ما زلت تفكرين فيه .. أليس كذلك ؟

أشاحت (ليلي) بوجهها عنها ، مغممة :

— لا .. ليس هذا صحيحاً .. ما الذى دفعك إلى هذا
القول ؟

قالت الجذّة ، وعيناها تملآن مزيغاً من العطف والشفقة :

— أتخذه عيني أم تخدعين نفسك ؟ .. صدّقيني يا بنيتى ..

صحيح أن (محسن) حفيدى ، ولكنه لا يستحق حبك ، فهو

أنالى مستهتر ، لا يقيم وزناً لعاطفة أو عهد ، ويضع كلمات

معسولة ، ووعده فى أمسية جميلة ، لا يكفيان لزواج ناجح .

ارتعشت الكلمات ، وهى تخرج من بين شفتى (ليلي) :

— ولكننى

قاطعتها الجذّة :

— تخينه .. أعرف ذلك .. لقد مررنا جميعاً بتجربة الحب

الأول ، وهي ترك حقاً أثراً قوياً في النفس ، ولكنها غالباً ما تكون بعيدة عن الحب الناضج الحقيقي .. ولو أردت رأيي ، لقلت لك إن (خالد) أصلح لك من (محسن) ، فهو شخص ناضج ، يسبق عمره بسنوات ، كما أنه مخلص لمشاعره ومبادئه ، وسعيدة حقاً من تربط به .

تطلعت (ليلي) إلى الجذوة في دهشة هزمت حزنها ، وكأنها تكشف أمراً خفياً عنها طويلاً :

— (خالد) ؟ .. ولكنه بالنسبة لي دوماً مجرد أخ عزيز وصديق مخلص !!

قالت الجذوة في هدوء :

— ولكنه يحبك .

اتسعت عيناها دهشة ، وهي تهتف :

— يحبني أنا ؟

— نعم .. إنني أرى حبه لك واضحا في عينيه منذ صباكا ،

وهو حبٌ كبير مخلص .

— ولكنه لم يصرح لي بشيء كهذا أبداً !

— ربما لأنه علم أنك لا تبادلينه مشاعره ، فاحتفظ بها

لنفسه .

— هل أخبرك بذلك ؟

— لا بالطبع ، ولكن خبرني بالحياة وبه جعلتني أدرك

ذلك .. إن (خالد) صاف حتى أن مشاعره تطل من عينه دوماً .

غمغمت (ليلي) في حزن :

— مسكين (خالد) .. كنت أجرح مشاعره دوماً

بالحديث عن حبي .. (محسن) ، دون أن أدرك أنه يحبني .. كم

أشعر بالذنب تجاهه ، ولكن الأمر ليس بيدي .

رثت الجذوة على شعرها ، قائلة :

— أعلم يا بيتي .. أعلم أن القلوب والمشاعر لا تخضع

لحكم المنطق أو العقل ، ولكن الصداقة والثقة اللتين تربطان

بينك وبين (خالد) .. أليستا دليلاً على وجود تقارب قوي

بينكما ؟ .. أليس من الممكن أن يتحول ذلك الارتباط إلى نوع

آخر ؟

ليلي :

— ولكن يا جذوتي ، ما بيني وبين (خالد) ..

قاطعتها الجذوة :

— ولم لا تحاولين يا بيتي ؟ حاولي ولن تندمي . ومن

يدري ؟ ربما كان في ذلك شفاؤك من حب (محسن) .. من

يدري ؟!

غادر (خالد) مطار العاصمة الألمانية (بون) ، واستقل
واحدة من سيارات الأجرة ، وهو يدفع إلى السائق قصاصة
ورق تحمل اسم وعنوان (محسن) ، وترك السيارة تتطلق ،
حتى توقفت أمام منزل منفرد ، فغادرها (خالد) ، واتجه إلى
ذلك المنزل ، وطرق بابه في هدوء ، وانتظر حتى فُتح الباب ،
وأطلت منه سيّدة متوسطة العمر ، سألتها في احترام :

— عفواً يا سيدتي .. أتحدثين الإنجليزية ؟

— نعم .

— إنني أبحث عن السيّد (محسن) .

— إنه يقيم هنا ، وأنا مدبرة منزله .

— حسناً .. هل يمكنني أن أقابله ؟

— إنه الآن في عمله ، في شركة الكيماويات .

— أيمكنني أن أنتظره ؟ .. إنني ابن عمه .

— لست أظن ذلك ، فهو سيتناول العشاء الليلة مع خطيبته

(أوجا) .

— حسناً .. أيمكنك منحى عنوان الشركة ؟

منحته العنوان ، فانطلق بسيّارة أخرى من سيارات الأجرة
إلى الشركة ، وهناك اجتاز ممراً رخامياً أنيقاً ، وراح يتطلع إلى

***** ٥٦ *****

الأبواب المفلقة ، المصنوعة من شجر الصنوبر ، وكل منها يحمل
لوحة اختصاص بالألمانية ، مما منحه شعوراً بالثّيق ، إلى أن لمح
رجلاً يغادر إحدى الحجرات ، فأسرع إليه قائلاً :

— من فضلك ، أين أجد الهرّ (محسن خيرى) ؟

أشار إليه الرجل نحو باب زجاجى في نهاية الممر ، فشكره
(خالد) ، واتجه إلى الباب ، وطرقه في هدوء ، قبل أن يفتحه
ويتقدم إلى الداخل ، فتطلّعت إليه فتاة تجلس خلف مكتب
دائري يتوسط الحجرة ، وعيناها تحملان نظرة تساؤل ، فقال :

— قبل لي إنه يمكنني مقابلة الهرّ (محسن) هنا .

أجابته في برود :

— إنه مشغول الآن .

أجابها بنفس البرود :

— أخبريه أنني أرغب في مقابله لأمر هام ، وأبلغه أنني

ابن عمه (خالد) .

تطلّعت إليه برهة في تردّد ، ثم نهضت وطرقت باباً جانبيّاً ،
ودلفت غيّره في سرعة ، وأغلقت خلفها ، ثم لم تلبث أن عادت
بعد لحظات ، ووجهها يحمل ابتسامة ترحيب كبيرة ، ودعته
إلى الدخول ، واستقبله (محسن) في الداخل ، هاتفاً :

***** ٥٧ *****

— يا لها من مفاجأة سارة !... ابن عمي العزيز هنا في بون !
صافحه (خالد) في هدوء ، وهو يدير عينيه في الحجرة
البالغة الأناقة ، وتطلّع إلى الفتاة الشقراء الفاتنة ، التي تجلس
على المقعد المواجه لمكتب (محسن) ، وقال :
— كان من الضروري أن أحضر بنفسى لزيارتك ، وأنقّب
عن عنوانك ، ما دمت تضمن علينا بالخطابات .

قال (محسن) :

— أنت لا تدرك مدى صعوبة العمل هنا ، فالمرء ينهك هنا
في العمل كالآلة ، حتى لا يجد وقتاً للمراسلات .
ألقي (خالد) نظرة أخرى على الحجرة الفاخرة ، وهو
يغمغم :

— نعم . إننى أدرك صعوبة عملك هنا .

تأبط (محسن) ذراعه ، وقاده نحو مكتبه ، قائلاً :

— تعال لتعرف (أولجا) ، خطبتي الحالية ، وزوجتي
المقبلة .

صافحها (خالد) وهي تبسم ابتسامة غلابة ، وهنئ
(محسن) :

— أأست معى لى أنها فاتنة ؟

***** ٥٨ *****

قال (خالد) متهمكماً :

— بالتأكيد .. وكوّنها ابنة صاحب العمل يزيد هافنة ..

أليس كذلك ؟

تجاهل (محسن) سُخرته ، وهو يقول :

— تفضل يا (خالد) .. تفضل .

وتبادل بضع كلمات ألمانية مع (أولجا) ، نهضت على
أثرها ، وألقت التحية على (خالد) ، ثم غادرت الحجرة ،

فقال (محسن) مبتسماً :

— لقد طلبت منها الانصراف لتحدث معاً .

ولكننى أعلم أنكما ستناولان طعام العشاء معاً .

— نعم .. إنها ستسبقنى إلى المطعم .

— هذا يغنى أن وقت الحديث بيننا محدود .

— ما زال أمامنا الكثير من الوقت ، فستزل فى ضيافتى

طوال إقامتك هنا .

— اسمع يا (محسن) ، سأغادر (بون) غداً ، ولدى

موضوع واحد ، أحب أن أتحدث فيه معك ، وأظنك تعرفه
جيداً .

— قل لى أولاً .. هل زرت منزلى ، قبل حضورك إلى

الشركة ؟

***** ٥٩ *****

— نعم .

— ما رأيك فيه ؟

تطلع إليه (خالد) في دهشة واستكار . وقال :

— أنظني قطعت كل هذه المسافة لأبدي إعجابي بمنزلك ؟

ولكن (محسن) كرر سؤاله في هدوء :

— ما رأيك فيه حقًا ؟

تذرع (خالد) بالصبر ، وهو يقول :

— إنه منزل جميل .

هتف (محسن) :

— بل قل رالع .. إنه يليق بمدير شركة كبرى ، وكذلك

سيارتي (المرسيدس) .. إنها من أحدث طراز .. هل رأيتها ؟

هتف (خالد) في غضب :

— أتحاول استعراض ثرائك ؟

ابتسم (محسن) ، وهو يقول :

— بل أحاول تنبيهك إلى حقيقة التحول الذي حدث لي

هنا .. لقد تغيرت أمور كثيرة ، ولم أعُد (محسن) الذي

تعرفه ، العايب المستهتر ، المستخف بكل شيء .. لقد صرت

رجلاً مرموقاً ذا مكانة ، ولدي أشياء كثيرة أتمسك بها ،

***** ٦٠ *****

وأحافظ عليها .. منزل رائع ، وظيفة مرموقة ، حساب البنك ،

زوجة ثرية جميلة .. أتطلب مني التازل عن كل هذا لقاء بعض

الرومانسيات السخيفة ، ووعد قطعه على نفسي في لحظة طيش

وانفعال ؟ .. أليس هذا ما أتيت تطالني به ؟

قال (خالد) :

— هل أصبح حبك لـ (ليل) مجرد رومانسيات سخيفة ،

ووعد طائش أحمق ؟ أتذكر حديثاً معاً في (الإسماعيلية) ، أم

تحب أن أذكرك به ؟ .. لقد قلت ليلتها إن (ليل) ليست الفتاة

التي يبحث مخلوق بعواطفها ، وإنك والى تمام الثقة من مشاعرك

نحوها ، ومن رغبتك في الزواج منها .. لقد عاهدتني على هذا .

محسن :

— لم أكن كاذباً آنذاك .. كان هذا هو شعوري نحوها ،

ولكنه تغير ، كما تتغير أشياء كثيرة في الحياة .

حملت عينا (خالد) نظرة ازدراء ، وهو يقول :

— وما الذي غيرها ؟ .. حساب بالبنك وسيارة فاخرة ؟

ما أرخص ثمن تبديل مشاعرك !!

محسن :

— لست أرغب أو أستطيع أن أكون مثالياً مثلك ، فأنت

***** ٦١ *****

تحمل روح فرسان القرون الوسطى ، أما أنا فأحب هذا العصر ، وأقدر منافعه كثيرًا ، فالشمن الضئيل الذى يتحدث عنه يكفينى لأبدل جنسيتى كلها ، وليس أحاسيسى فقط .

خالد :

— لا فائدة إذن .

محسن :

— لقد حسمت الأمر فى خطابى الأخير .

قال (خالد) مستعطفًا :

— أعلم كم سبب خطابك الأخير لـ (ليل) من آلامها ؟ ..

إنها تحبك لى شدة ، ولن تتوقف عن حبك أبدًا .

— إننى أشعر بالأسف من أجلها ، ولم أكن أتمنى أن يحدث

هذا ، ولكن صدقنى الأيام كفيلة بمداواة جروحها ، ومتسامى

مع مرور الوقت ، وتجد من يناسبها أكثر منى .

— مهما كان رأيك لى مبادئى ، فأنا أعتقد أنك الشخص

الذى يستحق الأسف لاهى ، فأنت غير جدير بفتاة مثله .

— لا داعى لهذا الأسلوب المسرحى الدرامى ، لـ (ليل)

ليست سوى فتاة عرفناها طفلة وصية ، وقضينا معها أوقاتًا

سعيدة من اللهو والمرح ، خلال العطلات الصيفية ، وربما

***** ٦٢ *****

جعلنى هذا التقارب أشعر بشيء من العاطفة نحوها ، وهذه الأمور تحدث وتنتهى . وسرى بنفسك أنها لن تلبث أن تبحث عن شاب آخر ، وتعمل على إيقاعه فى شباكها ، بعد أن تنزع عن وجهها قناع العذاب والألم ، الذى خدعتك به ، لتدفعك إلى السفر ، ومحاولة إقناعى بالعودة إليها .. لقد استغفرتك ، وابتزت مثالياتك ، و

قاطعت لكمة قوية ، طرحت أرضًا ، وسمع (خالد) يهتف

فى غضب :

— متظل أبدًا عابثًا مستهترًا أناثيًا جشعًا وفحًا .. كم

يؤسفنى أنك ابن عمى !! إننى لم أتصور أبدًا أن هذا هو رأيك

فى (ليل) ، فهى ليست من ناصبى الشباك ، ولا من مستغلى

الآخرين .. وأنت تعلم جيدًا من ينطبق عليهم هذا الوصف .

واندفع خارجًا ، وأغلق الباب خلفه فى عنف ..

***** ٦٣ *****

كان يهيم بركوب سيارته ، بعد أن غادر مقر عمله ، عندما
سمع صوتها يناديه ، فاستدار إليها ، وراها تسرع إليه ، قائلة :
— إننى أنتظرك منذ بضع دقائق .

خالد :

— ولم لم تصعدى ؟

ليل :

— لم أجد داعيًا لذلك ، فلقد كنت أعلم أن موعد
انصرافك سيحين بعد قليل .

— وما الذى جاء بك من (الإسماعيلية) ؟

— ألا تعلم ؟.. لقد التحقت بعمل فى واحدة من الشركات
الاستثمارية بالقاهرة .

— متى حدث هذا ؟

— منذ يومين ، وأنا أقيم حاليًا مع عمى فى (مصر
الجديدة) ..

— إنها أنباء طيبة .

— عا... عجب لنا هذا أن نلقى كثيرًا ، ولن يقتصر
الأمر على العطلات .

ارتبك وهو يفهم :

— نعم .. نعم .. بالطبع .

قالت وقد لاحظت ارتباكها :

— ألن تدعونى لركوب سيارتك ؟

هنا :

— بلا شك .. هيا .. سأوصلك إلى منزل عمك .

وضعت يدها فوق يده ، قائلة :

— (خالد) .. مارأيتك لو ذهبنا إلى مكان تحدثت فيه

قليلاً ؟

ازداد ارتباكها فى حدة ..

إنها أول مرة تطلب منه (ليل) الذهاب إلى أحد الأماكن

العامة ، خارج (الإسماعيلية) ، وراح يتساءل عما ترغب فى

التحدث إليه فيه ، وهل ستجرح مشاعره مرة أخرى بحديثها

عن (محسن) ؟ ..

وانطلق بها بسيارته ، وهو يشعر بالاضطراب والقلق ..

والخبرة ..

[م ٥ — زهر (٣٧) لن أحمد]

سأفها بعد أن اتعبها من تناول الطعام ، في أحد المطاعم المطلّة
على النيل :

— ماذا تشربين ؟

قالت بلا اهتمام :

— أى شيء .

طلب لنفسه قدحاً من القهوة ، ولها كوباً من العصير ، ثم
أسند ذقنه إلى قبضته ، وهو يتطلع إليها منتظراً حديثها ،
وحدثت هي بذورها في وجهه ، وكأنها تكشف أشياء خفيت
عنها طويلاً ، وقالت :

— (خالد) .. هل سافرت إلى (ألمانيا) حقاً منذ أيام ؟

أطرق برأسه ، وكأنما كان يخشى هذا السؤال ، وأجاب :

— نعم .

— أذهبت لمقابلة (محسن) ؟

— نعم .

— لماذا ؟

رفع عينيه إليها ، مغفلاً :

— ماذا تعنين ؟ .. إنه ابن عمى وصديقى ، ومن الطبع

أن أذهب إليه خلال رحلة سياحية .

* * * * *

— كُفّ عن هذا ، فالرحلة السياحية لا تستغرق يوماً
واحداً ، فلماذا تتجشّم كل هذا الجهد والتفقات ، لتلتقى
بـ (محسن) ليوم واحد ؟

— أهو تحقيق ؟

— يمكنك اعتباره كذلك .

— حسناً .. لقد شعرت بمدى قلق عمى على (محسن) ،

فسافرت إليه .. و

قاطعته :

— هل نسيت أنني أعرفك منذ طفولتك ، وأنه لن يمكنك

أن تكذب على مهمما حاولت ؟

قال مصطنعاً الغضب :

— ماذا تعنين ؟

— أغنى أنك قد سافرت إلى (ألمانيا) خصيصاً من أجل

— غير صحيح .

— بل صحيح .. إنك لم تحمل رؤيتى أنا أألم أمامك ، عندما

تقابلنا في المرة الأخيرة في (الإسماعيلية) ، فسافرت إلى

(ألمانيا) في محاولة لإثراء (محسن) عن قراره بالزواج من

الألمانية .. لقد فعلت هذا من أجل ، تجشمت مشقة السفر ،

* * * * *

وحملت مشاعرك ما يفوق طاقتها حتى لا تترالى أنأألم .. فعلتها
لأنك شخص نبيل .. كيف لم أشعر بكل هذا الثبل من قبل ؟ ..
حتى عندما رفض (محسن) مطلبك ، لم تحاول جرح مشاعرى
برفضه ، بل أخفيت عني الأمر كله .
تظاهر بالاستخفاف ، قائلاً :

— إنك تهملين منى بطلاً بلا مبرر ، فأنا لم أفعل هذا ،
(محسن) ليس الشخص الذي نسعى إليه ونستعطفه ، ويقي
بأنه لن يلبث أن يدرك خسارته لفقدك ، وبأنتيك زاحفاً ،
و
قاطعه :

— ولكنك لم تفكر فيما إذا كنت استحققه أم لا ، بل أردت
فقط أن تمحو عني هذا العذاب فجزه ، وفعلت هذا على الرغم
من أنك تمنى منذ سنوات ، دون أن تصارحنى بهذا .
هتف لي ارتجاع :

— (ليل) .. ماذا تقولين ؟

ليل :

— لا تحاول إخطاء الحقيقة عني مرة أخرى .. لقد أخبرتني
بجذتك بكل شيء ، وأدركت كم كنت حقا ، لأنني لم أدرك
ذلك منذ زمن طويل .. لماذا لم تبخ لي بمشاعرك ؟ .. لماذا ؟

***** ٦٨ *****

أطلق زفرة قصيرة ، وهو يتطلع إلى إناء الزهور أمامه ،
مغمغماً :

— وهل كان هذا سيفير من الأمر شيئاً ؟ .. الحب
إحساس ، ينبغي أن يصل إليك دون قول ، ولكنك جعلتني
أقف عند حدود الصداقة والثقة فحسب ، لي حين كان
إعجابك بـ (محسن) طاعياً ، حتى في ذلك اليوم الذي
استجمعت فيه شجاعتي ، وقررت أن أصارحك بحبي ،
أخبرتني أنت فيه بأنه هو صارحك بحبه ، وبأنكما قد تعاهدتما
على الزواج ، ولم يكن أمامي — حينذاك — سوى دفن
مشاعري في قلبي إلى الأبد .

انحدرت دموع من عينيها ، وهي تشيح بوجهها مغممة :

— بالي من حقاء ! .. بالي من جاحدة !

لا تلومي نفسك ، فحن لا غلك مشاعرنا .

— كيف تحمل لي كل هذا الحب ، دون أن أدرك ذلك ؟

— لأن قلبك لم يكن يرى سوى (محسن) .

— وعلى الرغم من ذلك تسمى خلفه ، وتحاول إقناعه

بإعادتي إليه ؟

— ما هو الحب إذن ، لو لم يكن كذلك ؟

— إنك تخبرني حقاً يا (خالد) .

***** ٦٩ *****

— لو كنت ذلك بمحار الحب لذهبت حيوتك ، فهناك
فارق رهيب بين الأناية والحب .

— إنه تفسير مثالي أكثر من اللازم ، ولكنه يناسب
شخصيتك النبيلة .

— ألا ترين أن الوقت قد حان لعودتك إلى منزلك ؟ أخشى
أن تقلق عمك .

— هل يمكنني أن أراك غدا ؟

— إذا أردت أنت ذلك .

قدّمت له بطاقة صغيرة ، وهي تقول :

— هذا عنوان الشركة التي أعمل بها ، وأنا أنتهي من عملي
في الرابعة مساءً .

ابتسم مغفماً :

— سأكون هناك في هذا الموعد بالتحديد .

وقال وهو يقود سيارته :

من العجيب أنك لم تسأليني عن (محسن) ، وعمّا أسفرت
عنه مقابلتنا في (ألمانيا) !!! كنت أظنك متشوّقة لمعرفة ذلك .

قالت بلا مبالاة :

— لم تغد أخباره مهمتي .

— أهو رد فعل تحكمه كرامتك وكبرياؤك ؟
— أتصدّقني لو أخبرتك أنني لم أغد أهم به حقاً ؟
— نعم .. ولكنني ما زلت أبحث عن تفسير .
— ربما كان هناك جزء يخص كبريائي وكرامتي ، ولكن
الفضل الأوّل يرجع إليك أنت .
— كان قد بلغ منزل عمته ، ولكن نطقها للعبارة الأخيرة جعله
يوقف السيارة بحركة حاذئة ، وبلغت إليها هاتفاً :

— أنا ؟

ابتسمت قائلة :

— نعم .. إنني أراك الآن بعيون جديدة يا (خالد) .
وأسرعت تغادر السيارة ، قبل أن يفيق من وقع العبارة ،
وهي تلوح له بكفها . هاتفه .
— لا تنس موعدنا غداً .
وهتف قلبه .
— مستحيل !! .. مستحيل أن أنسى موعدنا معك !!

٨ — اعتراف بالحب ..

لم تكذ تراه ، حتى انجبت إلى سيّارته ، ودفعناها لرمضان
ابتسامة صافية ، وهي تقول :

— خشيت ألا تحضر .

فتح لها باب السيّارة ، قائلاً :

— وهل تأخرت عن موعدك أبداً ؟

جلست على المقعد المجاور له ، وتطلّعت إليه ، قائلة :

— أبداً ، ولكن هذا الموعد يختلف — بالنسبة لي — عن

مواعيدنا في (الإسماعيلية) .

— لست أفهم .

— ستفهم كل شيء ، عندما نجلس معاً في ذلك

(الكازينو) ، المُطلّ على النيل .

ظلّ صامتاً حتى بلغا المكان ، وهناك جذب مقعداً حول

مائدة مُطلّة على النيل ، ودعاها للجلوس ، ثم اتجه إلى الناحية

المقابلة ، ليتخذ لنفسه مقعداً ، ولكنها أمسكت يده قائلة :

— تعال اجلس هنا .. إلى جوارى .

تطلّع إليها برهة في خيرة ، ثم أطاعها قائلاً في حرج :

— أخشى أن يظنّونا حبيين .

قالت :

— ولماذا تخشى ؟ .. ألا يمكن أن نكون كذلك بالفعل ؟

ازدادت خيّرته ، وهو يتطلّع إليها ، قائلاً :

— ماهذا الكلام يا (ليلي) ؟ .. ماذا أصابك ؟ .. إنك

تحدثين على نحو لم أعتدّه منك قط !

قالت محاولة دفع كلماتها إلى قلبه :

— أصابني سهم الحب .

ارتبك وهو يقول :

— (ليلي) .. حاولي أن تسيّ حبك لـ (محسن) ،

فهو

قاطعته ، وهي تلمس يده بأناملها :

— ومن تحدّث عنه ؟ .. لقد انتهى (محسن) من حياته إلى

الأبد .. إنني أ تحدّث عنك أنت .. إنني أحبّك يا (خالد) .

جذب يده بعيداً عنها ، وهو يهتف :

— لا يا (ليلي) .. إنني أرفض هذا .

هضت مذهولة :

* * * * *

* * * * *

— ترفض حتى ؟

قال :

— كم تخشيت أن أسمع هذه الكلمة من بين شفقتك
يا (ليل) ، ولكن ليس في مثل هذه الظروف ، أنت لست
مدينة لي بشيء .

قالت في مزيج من القلق والخيرة :

— ماذا تعني ؟ .. أية ظروف ؟ .. وأى دين ؟

هتف :

— إن ما تشعرين به نحوى ليس حبًا حقيقيًا .. لقد كشفت
فجأة أنني أحبك منذ زمن ، وأننى أطوى هذا الحب في قلبى ،
وصبغت على عددًا من الصفات النيلة . تحت تأثير كشفك
المفاجئ ، وتأثرك بسفرى إلى (ألمانيا) ومحاولتى إعادة
العلاقات بينك وبين (محسن) ، لذا يدفعك شعورك بالذنب
نحوى ، أو شعورك بالواجب ، أو كلاهما إلى منحى حبًا لا يجد
مكانًا حقيقيًا في قلبك ، وأنا أرفض هذا .

— (خالد) .. لم يخطر هذا ببالى قط .

— ولكنه الحقيقة ..

— الحقيقة هى أنني أحبك .. ربما لم أكشف هذا إلا قريبًا .

ولكنها الحقيقة .. من تلك التى لا تحبُّ رجلًا له كل صفاتك ؟

* * * * *

— لقد كان ذلك الرجل أمامك ، منذ كان طفلًا ، فلماذا

برز حبه لي قلبك الآن ؟

أتخذه عيني أم تخدعني نفسك ؟

قالت ، وعيناها تملآن نظرة رجاء :

— (خالد) .. أخبرتك أننى أراك الآن بعيون جديدة ،

وليتك ترائى كذلك بذورك .. ليتك تسنى (ليل) صدقتك ،

التي حبست عنها عواطفك ، عندما كانت عمياء ، مهب قلبها

لمن لا يستحق ، وتوى (ليل) التى تحبك ، ولم ولن تحب

سواك .

قال متوترًا :

— (ليل) .. تذكرى أننى لا أطلبك بشيء ، ويمكننى أن

أحيا عمري كله محتفظًا بحبك في قلبى دون مقابل ، ولكننى

لا أحتمل أن تحدثينى عن مشاعر لا وجود لها في قلبك ،

ولا تلقين بصحتها .

قالت ، وهى تهزُّ رأسها في يأس :

— لست أدري كيف أقنعك بصدقها ؟

— هل اخترت مشاعرك جيدًا ؟

— لم تكن تحتاج إلى اختبار ، فأنا أحبك .. ألا تبنى ذلك ؟

* * * * *

انفجرت أساريره ، وتناول كفها في راحته ، قائلاً في
سعادة :

— هذا أسعد يوم في حياتي يا (ليل) .. لقد خلّمت به
دوماً ، دون أن آمل تحوُّله إلى حقيقة ، والآن صارت الحقيقة
لي خلماً .. خلماً جميلاً .

سأله في لهفة :

— (محالد) .. أتجنّني حقاً ؟

اجسم في حنان ، وهو يقول :

— ياله من سؤال !

وبدأت قصة حُبهما ..

كانت الأيام التالية هي أسعد أيام حياة (محالد) ، فلقد بذل
الحُبُّ بينه وبين (ليل) تلك الحياة تمامًا ، وأضفى عليها بهجة
وانعاشًا لم يعرفهما من قبل .

و ذات ليلة شعر بجسدها يرتجف إلى جواره ، وهما يتأملان
نجوم سماء صافية ، فخلع سترته ، وأحاط بها كتفها ، وتأمّله
في حُبٍّ ، هامة :

— كم أنت خنُون !!

اجسم قائلاً :

— وكم أنت جميلة !!

ألقت رأسها على كتفه ، وهي تردّد في لحفوت :

— أشكرك يا (محالد) .

سألها وهو يداعب لمصلات شعرها الناعم :

— على ماذا ؟

أجابته في هيام :

— على كل الأشياء الجميلة ، التي يعجبها في نفسي .. لقد

أعدت لي النظرة ، وجعلتني أنظر إلى الحياة نظرة مختلفة ، وأومن
بالحُبِّ مرة أخرى .

أحاطها بساعده ، وهو يحكم سترته حول كتفها ، وقال :

— (ليل) .. هل توافقيني على أن شهرًا كاملًا بعد فترة

كافية لاختبار المشاعر ؟

رفعت رأسها عن كتفه ، وتطلّعت إليه في خيرة ، مدغممة :

— ماذا تعني ؟ .. لست أفهم !

أجابها :

— أغني أنه ، وقد مرّ شهر كامل على تصارحنا بالحُبِّ ،

وتعدّدت فيه لقاءاتنا ، وولّى كل منا من حقيقة مشاعره نحو

— (ليلي) .. سأسافر بعد غد إلى (الإسماعيلية) ؛ لطلب
يدك من والدك ، وسأحاول أن أجعل خطبتنا قصيرة ، فأنا
متلهف على أن تصبحي زوجتي .
أغمضت عينيها ، وتنهَّدت قائلة في سعادة :
— ليس أكثر مني يا (خالد) .
وانطلق بالسيارة ..
وبقبله ..



الآخر ، ألا ينبغي أن تنتقل إلى الخطوة التالية ؟ .. أغني أن نصبح
جنباً بصبغة شرعية ، وأن أطلب منك تحديد موعد مع والدك ،
لأعلنه برغبتي في الزواج من ابنته .
كست الفرحة وجهها ، وكادت تهتف في سعادة ، لولا أن
غلبتها مشاعر الأنثى ، فتداركت نفسها ، وغمضت في دلال :
— حسناً .. امنحني فرصة للتفكير ، فقد لا أوافق .
انهم قائلاً :

— في هذه الحالة لن أجد بُدّاً من اللجوء إلى الوسيلة
الأخرى .

— أيتها وسيلة ؟

— سأختطفك وأجبرك على الزواج مني .

أطلقت ضحكة مرحة ، وهي تقول :

— حسناً أيها القرصان ، أعلم ماذا سأقول لك عندئذ ؟

— ماذا ؟

— سأخبرك بأنك قرصان أحق ؛ لأنه من العبث أن

تخطفني ، وعيناي تحملان استسلاماً كاملاً لك ، ولحبك .

أطلق ضحكة قصيرة ، واستعد لإدارة محرك سيارته ، وهو

يتطلع إلى وجهها ، ثم لم يلبث وجهه أن اكسنى بالجدية ، وهو

يقول :

٩ — لقاء متوثر ..

كان حفل الخطبة بـ (الإسماعيلية) عائليًا بسيطًا ، ولكنه كان كاجلنة بالنسبة لـ (خالد) ، فيه أصبحت (ليل) تنحى إليه رسميًا أمام الجميع ، ولقد ظلت جذبه تراقبه وخطيته ، وابتسامة عريضة تملأ وجهها ، فقد تحققت أمنيتها ، واقترن (خالد) بـ (ليل) ، وهي موفقة بأن كليهما قادر على إسعاد الآخر ..

وكانت (ليل) تسأل (خالد) :

— قل لي : ألم تعرف أخريات قبل ؟

ابتسم قائلاً :

— بالطبع .. كانت لي صديقات وزميلات أيام الدراسة .

هفت في دلال :

— لست أغنى هذا .

أجابها :

— أعرف ما تعين ، ولن أذيع أنى مثالى ، كما تصرين

أنت ، ولكن الفرصة لم تصح لي أبداً ، لأفكر في فتاة على هذا

***** ٨٠ *****

النحو ، فحبك يملأ قلبي منذ طفولتنا ، ويحول بينى وبين منح
الحب لأية فتاة أخرى سواك .

تطلعت إليه قائلة :

— كلماتك هذه تُشعرنى بالذنب ، فلقد تركتك تصدب

بحي سنوات .

استعت ابتسامته ، وهو يقول :

— لم يغد هناك مجال لهذا الآن ، لقد انتهى العذاب ، وبدأت

السعادة .

قالت في دلال :

— هل ستجنى ذوماً هكذا ؟

هتف من أعماق أعماق قلبه :

— إلى الأبد ..

التف الجميع حول (ليل) يثثونها بعيد ميلادها ، وهي

تطلع من حين إلى آخر إلى باب القلعة ، في انتظار حضور

والدها ، ولم تكد تلمحه حتى هُرعت إليه ، هاتفة في عتاب :

— ألا تشارك ابنتك عيد ميلادها يادكتور (فؤاد) ؟ ..

اتركها حتى في مثل هذا اليوم ؟

***** ٨١ *****

ابتسم في حنان ، وهو يقول :

— وماذا الفعل يا بني؟ إنها حالة عاجلة ، ولا يمكنني ألا

التي نداء الواجب .

قالت في ذلال :

— أعلم ذلك ، وهذا ما يجعلني أصفح عنك .. المهم أنك

قد وصلت قبل أن نطفئ الشموع .

قال في حنان :

— كان من الممكن ألا أصل في الوقت المناسب ، لولا

خطيئتك (خالد) ، فلقد تعطلت سيارتي في الطريق ، ولحق بي

هو ، وأنقذني من هذا الموقف الحرج .

هتفت :

— وأنا التي كنت أتساءل أين ذهب ؟ .. لقد تسأل من

الحفل إذن ، ليعمل على إحضارك إليه في الوقت المناسب .. أين

هو إذن ؟

— إنه قادم في أترى ، فهو يتفق مع صاحب سيارة

طوارئ ، لإحضار سيارتي المعطلة في الطريق .

— أرايت كم هو حنون يا أبي ؟ .. إنه لم يحتمل رؤية الضيق

في ملاحي ، لعدم وجودك في عيد ميلادي ، فانطلق خلفك ؛

* * * * *

لأني — قيل إطفاء الشموع ، وحتى لا يحرمني سعادتي
بقربك .

— إنه الزوج الذي ثمنته لك ذوقاً يا (ليل) .

راعه ذلك الشحوب المفاجئ الذي اعترأها ، وأدهشة

تراجعها بهذه الحدة ، وهي تحدق في نقطة ما خلف ظهره ،

فالتفت إلى حيث تنظر ، ورأى آخر من يتوقع رؤيته .

(محسن) ..

وكان (محسن) يتقدم نحوهما ، ويمد يده إلى (ليل) بلقافة

أنيقة ، قائلاً :

— كل عام وأنت بخير يا (ليل) .

ازدردت لعابها ، وهي تتطلع إليه في جود ، دون أن تمذ

يدها لتناول اللقافة ، وبدا الموقف محرّجاً للغاية ، لولا أن سارع

الأب بمصافحته ، قائلاً .

— أهلاً يا (محسن) .. حمداً لله على سلامتك .. متى

غدت ؟

— أمس فقط ، ولما كنت أعلم أن اليوم هو عيد ميلاد

(ليل) ، فلم يكن لي أن أتخلف عن حضوره .

غمغم الدكتور (فؤاد) :

— تفضل يا بني ، على الرّحب والسّعة .

* * * * *

ولكن (ليل) اعترضت قائلة :

— لست أظن حضوره مناسبًا .

قال (محسن) في برود :

— يمكنني أن أنصرف ، لو أن وجودي يضايقك .

ولكن الأب هتف :

— (ليل) .. ليس من اللائق أن توجهي مثل هذه

الكلمات لضيوفك .

قالت في إباء :

— ولكنه ليس ضيفي .

بهرها قائلاً :

— لا تنسى أنه منزلي ، ولن يُعذِّغته أحد .

ولفجأة ، ارتفع صوت (خالد) من خلف (محسن) ،

يقول :

— ولا تنسى أيضًا أنه ابن عمي .

نقلت (ليل) بصرها بين أبيها و (خالد) في توكر ، ثم لم

تلبث أن أولتْهم ظهرها ، واتجهت إلى الداخل في غضب ، في

حين قال (خالد) :

— تفضل يا (محسن) .

وتناول الأب منه لفافته ، قائلاً :

— شكرًا لهديتك .

انتحي (خالد) باهن عمه جانبًا ، وهو يسأله في جدُّة :

— والآن ، هل تخبرني بالسبب الذي جعلك تأتي إلى هنا ؟

قال (محسن) ، وهو يتسم في برود :

— ما هذا يا (خالد) ؟ .. أمن المصطرب أن آتي في مناسبة

ك هذه ؟ .. أنسيت أننا عشنا طفولتنا متقلبين بين هذه القبلات

وقبلات جدتنا ؟

أجابه (خالد) في حزم :

— حديثك معي في (ألمانيا) قال : إنك قد قطعت كل

الصلة بماضيك ، فلماذا هذا الحنين المفاجئ لطفولتنا ، وما سر

عودتك من (ألمانيا) مع كل ارتباطاتك هناك ؟

قال (محسن) معترضًا :

— وهل من المعقول أن يتفصل المرء عن ماضيه ؟ .. ليس

ذنبى أنك قد أعطأت فهم حديثي ، فلقد كنت أتحدث عن

تأمين مستقبل ، والاستفادة إلى أقصى حد من فرصة سانحة

هناك ، ولكنني لم أقُل إنني قد تخلّيت عن ماضى وذكرياتى أبدًا ،

وعخاصة تلك الذكريات السعيدة هنا .

قال بيارند الأعميرة ، وهو يرمق (ليلي) بنظرة ذات مغزى
من بعيد ، فاحتد صوت (خالد) ، وهو يقول :
.. أنسيت العبارة التي قلتها في مكتبك ؟ .. لقد قلت : إن
المنزل الرائع ، والسيارة الفاخرة ، والمنصب المرموق كلها تعدُّ
ثمنًا كافيًا لتبذل كل سنوات عمرك .

محسن :

.. مجرد عبارة قلتها محاولاً إقناعك يا ابن عمي العزيز بأنه
ما من مبرر للتكبر لكل قيم الحياة المادية ، ولكنني أعتزف بأنها
لم تكن عبارة صادقة تمامًا . فهناك أشياء أخرى لها قيمتها ،
ولا يمكن إنكارها .

خالد :

.. ولكنك لم تجب سؤالى عن سر عودتك المفاجئة .
أجابته (محسن) في هدوء :

.. جئت لنج بعض توكيلات شركتى فى (مصر) ، ومن
محسن لما علمى ان وصلت قبل يوم واحد من عيد ميلاد (ليلي) ،
فانتهزت الفرصة لأحضر إلى (الإسماعيلية) ، وأهنتها به .
أشار إليهما الدكتور (فؤاد) فى هذه اللحظة ، قائلاً :
.. ألن نشارك فى تخطيط كعكة عيد الميلاد ؟

* * * * *

ابتسم (محسن) ، قائلاً :

.. بالطبع يا عمه .. هيا يا (خالد) نشارك (ليلي)
العزيرة فرحتها .
وتحرك نحو مائدة الحفل ، ولكن (خالد) أمسك ساعده
بستوقفه ، قائلاً :

.. مهلاً .. لعلك عرفت أن (ليلي) الآن غائبة

ابتسم (محسن) فى استخفاف ، وقال :

.. آه !! معذرة .. نسيت أن أهتكما .. مبارك

تابع (خالد) وكأنه لم يسمعه :

.. وهذا يقضى أن مسئولينى لحوها قد لصاعفت ، فأتد

سمحت لك بالبقاء فى حفل عيد ميلادها ، لأنك ابن عمى ،

ورحب بك والدها الطيب مراعاة لأصول الضيافة ، على الرغم

من لذاتك السابقة مع ابنته ، ولكن لو أن حضورك اليوم يخفى

أية نوايا غير طيبة ، فثق أنى سأعصدي لك بمنتهى الشدة ، دون

أى اعتبار لصداقة أو قرابة .

لم يتخل (محسن) عن هدونه ، وهو يقول :

.. لشدة ما يحزننى أن نسيء الظن لى على هذا النحو يا ابن

عمى .. ثق أنى أتمنى لكما كل السعادة من قلبى ، والآن هيا

* * * * *

* * * * *

بنا ، فمن الضروري أن تكون إلى جوار خطيتك الآن .
أطفئت الشموع ، وراحت (ليل) تقطع كمكة الحفل ،
وتوزعها في أطباق صغيرة على ضيوفها وقال (خالد) وهو
يشاركها عملها :

— أنت غاضبة مني ؟

قالت دون أن تلتفت إليه :

— ما كان لك أن تدعوه لمشاركنا حفل عيد ميلادي .

قال في هدوء :

— إنه ابن عمي ، وصديق طفولتنا ، ثم إنه لا يصح أن

تطردى شخصاً جاء لتهنئتك بعيد مولدك .

انفعلت قائلة :

— أما زلت تعبيرة صديقاً ؟.. أنسيت موقفه الحقيير مني ،

ومقابلته الوقحة لك في (ألمانيا) ؟

قال في بساطة :

— وهل تريدني أن نصبح مثله ؟.. لقد انتهت مشاعرك

لحواه .. اليس كذلك ؟

هزّت كتفها ، قائلة في عصية :

— بالطبع .

خالد :

— لم لا تعاملينه إذن كصديق تربطنا به ذكريات مشتركة ،

ما دام قد جاء إلينا بهذه الصفة ؟

ليل :

— ولكنه

قاطعها :

— ولكن الواجب أن يلقى كل ترحيب كضيف .

ثم همس مستطرداً :

— حتى يدرك على الأقل أننا أفضل منه ، وأنا لا نحمل له

في قلوبنا ضغينة .. والآن قدّمي له قطعة من الكمكة .

تطلعت إليه برهة في اعتراض ، ثم لم تلبث أن أطاعته ،

وقطعت قطعة من الكمكة ، ووضعتها في طبق صغير ، ومذّت

بدها المرتجفة بها إلى (محسن) ، الذي تناول الطبق منها ، وهو

ينسم ابتسامة تكشف عن قسّات وجهه الوسيم ، قائلاً :

— شكراً يا (ليل) ، تصوّرت أنك قد نسيتي .

لم تبس بينت شفة ، وإنما أدارت له ظهرها ، ولكنه

استوقفها بصوت هامس ، دفع فيه أكبر قدر من جاذبيته :

— (ليل) ..

التفتت إليه ، وهي ترفع رأسها في كبرياء ، فقال ونظرة
حزن تطل من عينيه .

— نسيت أن أهشك على خطبتك له (خالد) ، وأرجو أن
تكوني سعيدة معه .

قالت وصورها يحمل ما يشق عن توثرها :
— أشكرك .. إننى كذلك بالفعل .

وأولتة ظهرها دون أن يسمح لفرصة المزيد من الحديث ،
ولكن خطواتها السريعة ، وهي تعود إلى المائدة ، أبرزت
ما حاولت أن تخفيه من اضطراب ..
ومن خيرة ..



١٠ — إحساس خفي ..

انتهت (ليل) من عملها بالشركة . ووقفت تودع صديقتها
عند المدخل الخارجي ، ثم انصرفت واحدة من
الأجرة ، عندما وجدته يعترض طريقها بفتنة ، قائلاً
— مساء الخير يا (ليل)

سرت في جسدها رعدة خفيفة ، تشق عن اضطرابها
لظهوره المباغت ، وحاولت إخفاءها بتناع من المصباح وهي
تقول في انفعال .

— كيف تمرؤ على الحضور هنا ؟

ابتسم (محسن) ، قائلاً في هدوء :

— كان لابد أن أتحدث إليك ، ما دمت رقتبت منحنى هذا

الشرف ، في حفل عيد ميلادك .

قالت وقد تضاعف انفعالها :

— لم نغذ بيتنا حديث ، ومن فضلك لاتأت إلى هنا مر

أخرى .

قال محافظاً على هدوئه

— أعرف سر غضبك مني ، وأرجوك أن تمنحني فرصة للشرح .

هفت :

— ليس هناك ما يحتاج إلى الشرح ، فلم يفعل شيء مما يخصك يعني ، أما سبب غضبي فهو أنك قد سمحت لنفسك بالحضور إلى هنا ومقابلتي ، وأنا خطيبة ابن عمك .

محسن :

— ولكننا أصدقاء منذ الطفولة .. أليس كذلك ؟

ليل :

— كنا أصدقاء .

محسن :

— بل كنا أكثر من ذلك ، فما الذي بذلك على هذا

النحو ؟

ارتفع حاجباها في دهشة واستكار ، وهي تقول :

— كيف أمكنك أن تلقى هذا السؤال ، وأنت تعلم إجابته

جيدا ؟

محسن :

— لست أعرف سوى شيء واحد ، وهو أننا كنا متحابين ،

وكان المفروض أن تكوني خطيبتى أنا لا هو .

ازداد ضيقها من حديثه ، وهي تقول :

— كيف تسمح لنفسك بقول هذا ؟ .. ماذا لو كنت على

موعد مع (خالد) الآن ، وحضر ليراك تتحدث معي هكذا ؟

محسن :

— ولماذا سمح هو لنفسه بأخذك مني ؟

ابتسمت في سخرية ، مرددة :

— بأخذني منك ؟ .. لقد تخلّيت عني في لحظة غدر ،

وسافرت إلى الخارج سعيا وراء أطماعك المادّية الرخيصة ،

دون حتى كلمة وداع واحدة . ثم أرسلت خطابتها من عدة

أسطر ، تبلغنا فيه أنك ستزوّج من الألمانية ، وأن الزمن يتغير ،

ولا بد لك أن تتغير معه .. وسافر إليك (خالد) هذا ، الذي

تُشهّمه بأخذى منك ، وحاول إقناعك بالعودة إلى ، على الرغم

من أنه يحمل لي في قلبه حبا كبيرا . أخفاه لسنوات طوال ، لأنه

يرى مدى تعلقي بك ، واعتقد أن سعادتي ستكون معك ..

سافر إليك ، لأنه لم يحتمل رؤيتي أنا لم ، بعد موقفك الغادر

منى .. سمعت أبدا عن حب كهذا ؟ .. أرايت رجلا له مثل

هذا القلب الكبير ؟ .. أقول بعد هذا إنه أخذني منك ؟ .. إننى

نادمة على شيء واحد يا (محسن) ، وهو أنه لم يفعل ذلك منذ

زمن طويل ، فابن عمك رجل تمنّاه آية فتاة .

محسن :

— لست أجادل في أنه يحوز صفات عظيمة ، ولكنني واثق من أنك لا تحبين سوى .

احتقن وجهها غضبا ، وهي تهتف :

— كيف تجرؤ؟

قاطعها في إصرار :

— هذه هي الحقيقة .. إنك تحبيني ولن تحبني غيري .. لقد رأيت ذلك في عينيك ، خلال حفل عيد ميلادك ، على الرغم من كل مظاهر الرفض والغضب والانفعال ، فمشاعرنا نحو الآخرين لا ترتبط بصفاتهم المثالية أو النيلة ، فقد تدفعنا هذه الصفات لاحترامهم ، لا لحبهم ، ومن الخطأ أن يتحول الحب إلى التزام ، بل الحب الحقيقي هو الذي يختار من نحب ، بكل عيوبهم ، وأن نغفر لهم الأخطاء والخطايا ، وألا نتغلى عنهم أبدا .

ازداد غضبها ، وهي تقول :

— كُف عن هذا الحديث ، وإلا

قاطعها :

— لن أفعل ، فأنا أحبك وأنت تحبيني ، ولن يغير تقديرك

* * * * *

الكبير لـ (خالد) من هذه الحقيقة ، ومن الظلم أن توافقي على الارتباط به وأنت لا تحملين له الحب في قلبك .

اهتز جسدها من شدة الانفعال ، وهي تهتف :

— يالك من مغرور وقح !.. لقد صور لك غرورك أنه

لا يمكنني أن أحب سواك .. لتعلم إذن أنني أنا دفعت (خالد)

للارتباط بي ، عندما زالت الغشاوة عن عيني ، وأنتي تثبت

أن أصبح زوجة له .

لم يأنبه لقولها ، وإنما ثبت نظراته على وجهها ، وعلى عينيها ،

قائلا :

— انظري إلى عيني ، فقد عهدت لك عاجزة عن الكذب ،

وأنت تنظرين إليهما ، وأخبريني هل تحبين (خالد) حقا ؟

تطلعت إليه قائلة :

— حسنا .. إنني .. إنني

أخرجها ارتباكها وتلعثمها ، فأشاحت بوجهها بعيدا ،

وهي تهتم بالانصراف ، قائلة :

— لست أدري ما الذي يدعوك إلى مجادلتي في أمر

كهذا ؟ .. كان من الخطأ أن أسمح لك بهذا الحديث منذ البداية

فبض على ساعدها في شدة ، وهو يقول .

* * * * *

— أرايت كيف عجزت عن قولها ؟ .. لم يمكنك الكذب ،
وأنت تنظرين إلى عيني ، لأنك تخيبتني أنا لاهو .

صاحت لي وجهه :

— اصمت .. لا يحق لك أن تقول هذا ، فأنا مخطوبة
لـ (عwald) ، وأحبه .. هل سمعت ؟ .. أحبه .. ابتعد عن
طريقي ، ولا تدعني أراك .

لم يتدخل عن ساعدها ، وهو يقول :

— لا تعاندي قلبك يا (ليل) .. يجب أن تعلم أن بعض
الأمر ، التي تبدو سيئة ظاهرياً ، لها من الدواعي ما يجعلها
كذلك ، أو ما يمنعها هذا المظهر ، دون أن تكون كذلك
بالفعل .. فربما أنني لست مثاليًا كـ (عwald) ، ولكنني لست
بهذا السوء الذي تصوريته .

قالت لي مرارة :

— اترك ذراعي لو سمحت .

محسن :

— سأتركه يا (ليل) ، ولكننا سنطفي مرة أخرى ،
فهناك أمور عديدة ينبغي أن أشرحها لك ، حتى لا يكون
حكمك علي ظالماً .

***** ٩٦ *****

لم يكذب بترك ساعدها ، حتى هرولت غير الشارع ، محاولة
الابتعاد عنه بقدر الإمكان ، فقد شعرت بشيء خفي يمس
أوتار قلبها ..

شيء تمكنت ألا تشعر به أبداً ، تجاه هذا الشخص ..
ولكن هذا الشيء كان أقوى منها ، ولقد جعلها تشعر
بالخوف ..

وبالذنب ..



***** ٩٧ *****

١١ — أميرة أحلامى ..

شعرت (ليل) بخيرة شديدة ، وهى تجلس فى مواجهة
(خالد) ..

هل تخبره بلقائها مع (محسن) أمى ؟ .. أم تخفى الأمر
عنه ؟ ..

شعرت أن إحساسها بالذنب لن يفارقها أبداً ، لو لم تخبره ،
ولكنها حاولت إقناع نفسها بأن عدم إخباره سيكون أفضل ،
لأن معرفته بكلمات (محسن) إليها قد تقوده إلى هواجس
شتى ، أو إلى صدام مع ابن عمه ، وهى لا تريد هذا أو ذاك ..
التزعها صوت (خالد) من شرودها ، وهو يسألها
مبتسماً :

— لم لا تأكلين ؟

تناولت أدوات المائدة ، وراحت تعمل سكّينها فى شريحة
اللحم الموضوعة أمامها ، دون رغبة حقيقية لتناول الطعام ،
فسألها :

— أهنك ما يضايقك ؟

***** ٩٨ *****

أجابه ، وهى تهز رأسها :

— لا .

عاد يسألها :

— ألا يروق لك الطعام ؟ .. يمكننا أن نطلب وجبة أخرى ،
أو نذهب إلى مكان مختلف .

هزت رأسها مرة أخرى ، قائلة :

— لا .. ليس هناك ما يدعو إلى ذلك .

رفعت قطعة اللحم إلى فمها ، ثم لم تلبث أن أعادتها إلى
طبقها ، وهى تقول :

— (خالد) .. ألا يمكننا أن نعجل بالزواج ، قبل الموعد
الذى حدّدناه ؟

أبعدته رغبتها فى سرعة الاقتران به ، وقال مبتسماً :

— لابد من إعداد الترتيبات اللازمة .

ولكن نظرة القلق فى عينيها جعلته يستطرد :

— على أية حال ، لن يستغرق هذا أكثر من ثلاثة شهور .

عادت تحرك شوكتها فى الطبق فى شرود ، وهى تتساءل :

— لماذا سأكّنه التعجيل بالزواج ؟ ..

— أمى حقاً رغبة فى هذا التعجيل ؟ ..

***** ٩٩ *****

من المؤكد أنها لم تكن تفكر في هذا ، قبل أن ترى (محسن)
أمس ، بل إنها حتى لم تهتم بمعرفة موعد الزواج ..
ما الذي طرأ عليها ، ودفعها إلى هذا الاقتراح إذن ؟ ..
إنها خشيتا من (محسن) حتمًا ..
بل خشيتا من ضعفها نحوه .. لقد شعرت بذلك منذ
أمس ..

ولكن ما الذي يغيبه هذا ؟
أما زالت تحبه كما قال ؟ ..
لا .. لا يمكن أن يكون هذا صحيحًا ، وإلا فما معنى
شعورها نحوه (خالد) ؟ ..
أليس هو نفس الشاب الذي قالت أمس أن آية فتاة
تتمناه ؟
أليس هو الذي جدد ثقتها بنفسها يومًا ، وجعلها تؤمن بقيمة
الحب من جديد ؟ ..

ما الذي تخشاه إذن ؟ ..
ما الذي يثير القلق داخلها ؟ ..
أهو (محسن) وكلماته ؟ ..
كيف يمكن أن يفعل بها (محسن) هذا ، وقد ميزت
معدنه ، وبدأ لها واضح الرداءة ، لا يساوى ذرة من معدن
(خالد) النفيس ؟ ..

* * * * *

وتأملت وجه (خالد) ، ولمي تسأل نفسها :
— هل يمكن ألا يخضع الحب لقواعد العقل والمنطق ، كما
قال (محسن) أمس ؟ .. هل يمكن أن نحب شخصًا نبغض
صفاته ؟ .. أليكون ارتباطي بـ (خالد) قائمًا على الالتزام
فقط ؟

هزت رأسها في قوة ، وكأنما تنفض عنها هذه الخواطر ،
ولاحظ (خالد) ذلك ، فترك طعامه وتناول يدها ، وهو يقول
في قلق :

— إنك لا تبدين طبيعية على الإطلاق .. أخبريني ماذا
بك ؟

— لا شيء .. يبدو أنني متعبة قليلًا .

أتريدين العودة إلى المنزل ؟

— نعم .. أظنني أحتاج إلى بعض الراحة .

— حسنًا .. هيا بنا .

— معذرة .. أفسدت عليك أمسيك .

— المهم أن تكوني بخير .. ما رأيك لو مررنا بطبيب في أثناء

ذهابنا إلى منزلك ؟

— لا .. الأمر لا يستحق ذلك .. سأحصل على بعض

الراحة فحسب ، فلقد بذلت جهدًا كبيرًا في العمل اليوم .

* * * * *

عاد بها إلى منزلها ، وسألها وهو يُوقف سيارته إلى جواره :
— أيمكنني الاطمئنان عليك هاتفياً ؟

انحسبت اجسامه باهتة ، وهي تقول :

— سأحصل أنا بك ، واطمئن ، فالأمر لا يستحق كل هذا .
همت بمغادرة السيارة ، ثم توقفت قائلة :

— (خالد) .. حاول أن تمرّ على في الشركة ، وتوصلني
إلى منزلي ، كلما سمعت ظروف عملك بذلك .
قال مبسماً :

— سأبدأ ذلك اعتباراً من الغد ، ولكنني أقترح أن تحصل
على إجازة عدة أيام ، لاسترداد حيويتك ونشاطك .
وعندما تركها وانصرف ، لم يكن قلبه يشعر بالراحة أبداً ..
* * *

كانت ترأب الشاطئ في ارتياح ، عندما سمعت صوتاً يأتي
من خلفها ، قائلاً :

— أحسنت بالجيء إلى هنا .. فلقد كان هذا هو مكاننا
المفضل دوماً .

التفت إلى صاحب الصوت في حيرة ، وهي تقول :
— هل بلغ بك الأمر أن تسأل خلفي هكذا ؟

* * * * *

أجابها (محسن) في هدوء :

— إنها مصادفة وليس أكثر .. لقد كنت في زيارة قصيرة
لجذقي ، فعلمت منها أنك هنا في (الإسماعيلية) ، ولقد دفعني
الحنين إلى هذا المكان ، دون أن أعلم أنني سأراك هنا .
قالت في انفعال :

— أنت كاذب ، على أية حال ، كنت أهم بالانصراف .
همت بمغادرة المكان ، ولكنه اعترض طريقها قائلاً ببرة
رجاء :

— (ليلي) .. كان من الضروري أن أراك على أي نحو
كان .. أريد منك أن تسمعي .
ازداد انفعالها ، وهي تقول :

— ليس يتنا ما يقال ، وينبغي أن تقدّر أنني مخطوبة لآخر ،
وأن مطاردتك لي على هذا النحو غير جديرة بالاحترام .
هتف :

— اعذريني يا (ليلي) ، لما زلت أحبك ، ولست أقوى
على كتمان مشاعري نحوك .
صاحت في وجهه :

— لا تنطق هذه الكلمة أبداً .. لقد انتهى ما بيننا تماماً .

* * * * *

محسن :

— لا .. لم يتنه .. بحيثك إلى هنا دليل على أنه لم يتنه .

ليل :

— ليست هناك آية دلالة لجيئني إلى هنا ، فهذا أحد أفضل الأماكن في (الإسماعيلية) ، وعموماً لن آتي إليه بعد اليوم ، ما دمت تفكر على هذا النحو .. والآن ابتعد عن طريقى وألا أخبرت (خالد) بمطاردتك لى .

قال مهدئاً من ثورعها :

— حسناً .. لن أعترض طريقك بعد الآن .. فقط امنحني بعض الوقت لأشرح موقفى .. هذا كل ما أطلبه منك .
شعر باستسلامها ، فأضاف فى سرعة .

— لقد تطلعت إليك طيلة عمري كأمية .. أتذكرين كيف كنت أردد ذلك على مسامعك دوماً ، وكنت تظنينه نوعاً من المزاح والدعابة ، ولكنى كنت أغنى ذلك تماماً ، ولهذا قررت ألا أتزوجك قبل أن أوفر لك حياة الأميرات التى تستحقينها ، ولكن هناك مسافة شاسعة بين الطموح والواقع .. ربما تقولين إن هذا تفكير خاطئ ، ولا مبرر له ، ولكن هكذا أفكر ، ولأننى كنت أحبك ، فقد حاولت أن أمنحك كل الرفاهية .. كنت أريد أن أبدو لك إنساناً متميزاً ، وليس (محسن) العايب

* * * * * ١٠٤ * * * * *

المشتهر الذى عرفته . ووجدت فرصة تحقيق هذا فى سفرى إلى (ألمانيا) ، فذهبت محملاً بالطموح ، ولم أشأ أن أصارحك بالهدف الحقيقى لسفرى ، لعدة أسباب ، أولاً : خوئ من أن تحاولى استخدام عواطفى لمنعى من السفر ، وثانياً : خشية أن أقفل هناك ، وأعجز عن تحقيق وعدى لك .

عقبت فى سخرية :

— أكان من ضمن طموحاتك أن تتزوج ابنة مدير الشركة ؟

محسن :

— ليس الأمر كما تتصورينه يا (ليل) .. لقد بدأت العمل فى تلك الشركة ككيميائى بسيط ، وتعرفت (أولجا) فى أثناء العمل ، إذ كانت تعمل كزملية لى ، وتحولت معرفتى بها إلى حب من طرف واحد .. من طرفها هى ، ولم أحاول تشجيعها أبداً ، وذات يوم أصابنى إغماء فى غرفة اختبارات الغازات الكيميائية ، وكدت ألقى خفى فيها ، لولا (أولجا) ، فقد كانت تنابع مقياس ضغط الغاز على شاشة الكمبيوتر ، وعندما تزايد الضغط بشدة ، دون أن أغادر الحجرة ، أسرعت لتسقيث بفريق الأمن ، ولكن رجاله خشوا اقتحام حجرة الغاز ، فخاطرت هى بنفسها ، واقترحتها لتقتدى ، وهكذا

* * * * * ١٠٥ * * * * *

وجدتني أخطيها ، في موجة عرفان بالجميل ، ولكنني لم أستطع
الاستمرار في هذا إلى النهاية ، فكما أخبرتك من قبل ، قد يدفعنا
الامتنان إلى الارتباط بشخص ما ، ولكنه لا يدفعنا إليه أبداً ،
وأنا أحبتك ، ولم أحب سواك ، ولهذا غادرت (ألمانيا) ،
وتحملت المخاطر من أجلك ، لأنني عجزت عن الابتعاد عنك ..
وعندما وصلت ، وجدت لك للأسف مرتبطة بشخص آخر ..
ومن هذا الشخص ؟ .. (خالد) .. ابن عمي وصديق
طفولتنا .. لقد تظاهرت أمامك بالصلابة والجلد ، ولكنك
لا تصورين مدى صدمتي .

بدا التأثير على وجهها ، وهي تقول :

— أنا الأخرى صدمني أن أعلم أنك قد تخلّيت عني ، وكان
(خالد) هو الشخص الوحيد الذي وقف إلى جوارى ، وضمّني
بحبه وحنانه ، بعد أن جعلني سفرك المفاجئ إلى (ألمانيا) أشعر
أنني مرفوضة منك تماماً .

محسن :

— لقد ظلت واقفاً تحت تأثير الترامى تجاه (أولجا)
طويلاً ، ولم أرغب في أن أقيدك إلى ، ولذلك حاولت دفعك
إلى كراهيتي ، وحاولت أن أثبت تلك الصورة القبيحة عني ،
غبر (خالد) إليك .. ولكنني عجزت عن تمثيل ذلك الدور

* * * * *

طويلاً ، فأنا أحبك ، وأنت تحبيني ، ومن الخطأ أن نحرم قلبي
كل هذا الحب .

وأشاح بوجهه ، مستطرذا في مرارة :

— ولكن ما الفائدة ؟ لقد وقع ما وقع ، ولم يقدّر شيء من
سبب في وقوعه .

وعاد يتطلع إلى عينيها ، متابعا :

— هذا كل ما أردت قوله يا (ليل) .. أردت منك أن
تعلمني أنني لم أخدعك ، وأني ما زلت أحبك ، وفي النهاية أعتني
لك كل السعادة مع (خالد) ، فقد يكون حظك معه أفضل
من حظي معك ، أما أنا فأسأواجه مصيري ، وسأحتمل حرماي
منك ، ودخولي إلى السجن .

ارتسم الفزع على وجهها ، وهي تهتف :

— السجن ؟ !

لم يحاول تفسير الأمر لها ، وهو يتركها قائلاً :

— وداعاً يا (ليل) .. وداعاً .

ولكنها لم تحتمل ابتعاده ..

وهتفت تناديه بكل اللهفة واللوعة ..

لقد عادت ..

عادت إليه ..

* * *

* * * * *

١٢ - الحب والمخاطرة ..

لحقت به (ليل) ، وأمسكت ساعده هاتفه :

— ماذا تغنى بذكر السجن ؟

صمت قليلاً ، ثم أجاب في مرارة ، دون أن يلتفت إليها :
— عندما طلبت الزواج من (أولجا) ، رفض أبوها تمامًا ،
لأنه لا يثق في الأجانب ، ويرى أنني أسعى فقط خلف ثرونها
ونفوذها ، ولكنها أصرّت على الارتباط بي ، لأنها تحبني في شدة
كما أخبرت ، مما اضطر والدها للموافقة ، شريطة أن أوقع له
إيصلاً بمبلغ ثلاثين ألفاً من الماركات الألمانية ، احتفظ به ،
لاستخدامه ضدي ، إذا ما حاولت التخلّي عن ابنته يوماً ، أو
أسأت إلى مشاعرها ، ولقد وافقت على هذا آنذاك ، تحت تأثير
الامتنان والعرفان بالجميل ، على أمل أن أنجح يوماً في نسيان
حبّي لك ، وأن أحبّها ، ولكنني عجزت .. لم أستطع نسيانك ،
ولم أستطع أن أحبّها ، وطلبت منها الانفصال ، فثارت وهددتني
بالإيصال ، وبأنها ستعمل مع أبيها على سجنى ، وعلى الرغم
من ذلك فقد تركتها ، وأتيت مضجياً بكل شيء ..

* * * * * ١٠٨ * * * * *

غمغمت (ليل) في إشفاق :

— وماذا ستفعل الآن ؟

محسن :

— لا شيء .. لقد منحتني مهلة أسبوعين للتفكير ، وبعدها
ستبلغ الشرطة ، وستسلمني السلطات هنا إلى السلطات
الألمانية لحاكمي ، طبقاً لاتفاقية تسليم المجرمين ، الموقعة من
الدولتين .

قالت في أسى :

— ألهذا قلت إنك جئت مخاطرًا بالكثير ؟

قال في مرارة :

— نعم .. جئت لأجلك مخطوبة لغيري .

هتفت :

— (محسن) ، لابد أن نستلم لصيرنا ، غداً إلى فمالك

قبل انقضاء المهلة ، وسأعود أنا إلى (خالد) .

ولكنه أجابها في إصرار :

— لا .. يمكنك أن تستمرى في ارتباطك بـ (خالد) ، أما

أنا فلن أخدع قلبي مرة أخرى ، وأبني حياتي على مشاعر زائفة ،

أو عرفان بالجميل .. السجن يبدو لي أفضل من هذا ..

لا تقلقي بشأني ، وانعمي بسعادتك .

* * * * * ١٠٩ * * * * *

ليل :

— أية سعادة تلك ، وأنا أعلم ما سيضرك بسببها ؟

نظر إليها بعينين حزينتين ، وقال :

— ليس هذا ما كنت أرجوه .. لقد تخليت أن اسمع منك

كلمة حب لا شفقة .

غمغمت مترددة :

— (محسن) .. إني .. إني

أمسك مرفقيها هاتفا في لفة :

— إنك تخيئيني .. قولها يا (ليل) .. سأجد فيها التعويض

الكافي .. قولها .

تطلعت إليه قائلة في استسلام :

— نعم .. لا يمكنني أن أخدع نفسي إلى الأبد .. فأنا

أحبك ، وأشعر بالذنب لهذا .

اغتبطت عيناه ، وهو يقول :

— إنها كلمة تستحق أن يضحي المرء من أجلها .

هزت رأسها في رفض ، قائلة :

— لا يا (محسن) .. لن تكون هناك تضحيات ، يجب أن

تسدد المبلغ للرجل ، وتسترد ذلك الإيصال منه .

* * * * * ١١٠ * * * * *

— ومن أين أتى بمبلغ كهذا ؟

— ألا يمكنك تدبيره مع والدك ؟

— والدي مدين لأحد أقاربنا بخمسة آلاف جنيه ، عجز

عن سدادها حتى الآن .

ثم تطلع إليها في هيام ، مضيقا :

— لا أريد أن ألقى في السجن يا (ليل) .. الآن فقط أشعر

بقسوته ، ليس بسبب السجن نفسه ، ولكن لأنه سيحرمني

منك .. بعد أن تأكدت من حبك لي .. أريد أن أبدأ من جديد ،

وأن أصحح أخطاء الماضي .. يجب أن تتزوج يا (ليل) .

هتفت في دهشة :

— تتزوج ؟

— نعم .. إننا يجب بعضنا بعضا ، ومن حقنا أن نتزوج .

— و (خالد) ؟ !

— إنه ليس الرجل المناسب لك .. إنه مجرد صديق ، عرفته

في طفولتك ، وله مكانة وتقدير في نفسك ، ولكنه ليس حينما

أزوجا .. هذا يضعه في تصنيف خاطئ في حياتك .

— ولكن هذا سيؤلمه كثيرا .

— وإنه أقل إيلافا من أن تتزوجيه ، وأنت تحبين غيره ..

* * * * * ١١١ * * * * *

لابد أن تحاولي إقناعه بذلك ، وهذا أفضل لكليهما .

— ولكن أرى لن يوافق على زواجنا .

— أبوك رجل طيب .

— يبدو أنك لا تعرفه جيدًا .. إنه يبدو طيبًا مساهلًا .

ولكنك ستجده عنيذا صلبًا ، عندما تجرب به بأنك تنوى الارتباط

بى مرة أخرى .. قد يدعوك إلى منزله ، نزولًا على واجب

الضيافة ، فهذا أحد مبادئه ، ولكنه لن يتردد في إلقاءك

خارجة ، لو ضاق بأسلوبك ، ومهما حاولت أن تبرر له

موقفك ، فستجد أمامك كتلة من الصلابة والعناد .

— فلنضحه أمام الأمر الواقع إذن .

— هل تريدن أن أتزوج دون موافقته ؟ مستحيل !

— لماذا يا (ليل) ؟ .. إننا لا نرتكب أى خطأ ، كفى ما

أضناه من حُبنا .. إننا سنصحح خطأ ارتكبناه قديمًا ، فما

سيفضونه اليوم سيقبلونه غدًا ؛ لأنه سيصبح أمرًا واقعًا ، أما

لو استسلمنا لرفضهم اليوم ، فستدم على ذلك جيلة عمرنا .

— ولكن كيف يمكننا أن نفعل ذلك ؟

— سأخبرك أنا .. المشكلة الوحيدة تكمن في تدبير مبلغ

الثلاثين ألف مارك .. أنا يمكننى تدبير المبلغ ، ولكن ليس قبل

* * * * * ١١٢ * * * * *

ثلاثة أشهر ، فلدى قطعة أرض ورثتها عن أمى ، سيستغرق

بيعها هذه الفترة تقريبًا .

— رائع .. أنت قلت إن والد (أولجا) ثرى .. وسيمكنه

الانتظار .

— لن يفعل ؛ لأنه لا يحتاج للمبلغ ماديًا ، وإنما يتخذه

وسيلة للانتقام منى .

بدا وكأنه يفكر فى عمق ، قبل أن بلغت إلى (ليل) ،

ويهدف كمن وجد مخرجًا .

— (ليل) .. أنت تملكين الحل .

هتفت فى دهشة :

— أنا ؟ .. كيف ؟ !

أجابها فى لهفة :

— لقد أخبرتنى أنك تحفظين بمجوهرات أمك الراحلة في

صوانك الخاص ، وأخبرتني أنها تساوى خمسة وعشرين ألفًا ،

وأظنها تساوى مبلغ الثلاثين ألف مارك الآن ، وأنها ستحل

المشكلة .

تراجعت فى دُعر ، هاتفة :

— أتريد منى أن أسرق مجوهرات أمى ؟

* * * * * ١١٣ * * * * *

قال في انفعال :

— إنها ليست سرقة .. تستعيرها فحسب ، سترهنا
لأسد المبلغ ، ثم أعيدها عندما أبيع قطعة الأرض .
وعندما رأى الخوف والشك في عينيها ، تراجع قائلاً :
— لا .. لن يمكنك فعل ذلك .. إننى أعلم .
ورفع يديه إلى مستوى كتفيه ، مستطرداً في يأس :
— ولكنه كان الحل الوحيد .. ومن المؤلم أننى سأفقدك
عندما استعدت حبك .

تردّدت لحظات ، وغمغمت :

— ولكن كيف يمكنى أن آخذ مجوهرات أمى ؟
أجابها في سرعة :

— إنك تحتفظين بها في صوانك ، ولن يشعر أى مخلوق
بغيابها ، حتى أبيع قطعة الأرض ، وأعيدها إليك .
غمغمت في ألم :

— لن يمكنى فعل ذلك أبداً .

أمسك كتفها ، قائلاً في همس مؤثر :

— ولكنك ستفعلينه من أجل .. من أجل حُبنا .

بدا استسلامها واضحاً ، فتابع في ثقة :

* * * * * ١١٤ * * * * *

— اسمعنى جيداً .. إننى أستعد للسفر بعد غد ، قبل انتهاء
المهلة التى حدّدتها لى (أولجا) ، وسأنتظرك غداً في فندق
(سونستا) ، في الحجرة رقم خمسة عشر ، أحضرى لى
المجوهرات هناك ، لو أردت مساعدتى ، وسأثيب ساعتي ،
أذهب خلالهما لرهن المجوهرات ، والحصول على المبلغ ، ثم
أعود لأصحبك إلى أقرب مأذون ، لنعقد قراننا قبل سفرى .
غمغمت لى تولّر :

— ألا يوجد حل آخر ؟

أجابها لى حزم :

— لا .. هذا هو الحل الوحيد ، وهو يحتاج إلى بعض

الشجاعة والمخاطرة .. ألا يستحق حُبنا وزواجنا ذلك ؟

أومأت برأسها مؤيدة ، وقلبها يرتجف ..

يرتجف في قوة ..

* * *

* * * * * ١١٥ * * * * *

١٣ — الحقيقة المؤلمة ..

شعر (خالد) بالدهشة ، عندما رآها تدخل إلى حجرته في الشركة ، ونهض يستقبلها في حرارة ، قائلاً :
— مرحباً يا (ليل) ، لابد أنه أمر جل ، ذلك الذي دفعك لزيارتي في الشركة لأول مرة .. ماذا تشربين ؟
غمضت في خرج :

— لقد أتيت لأقول لك — لأقول
ابتسم قائلاً :

— هل تقصدين لقاءك بـ (محسن) ؟
هضت في دهشة وجزع :
— هل عرفت ؟

أجابها في هدوء :

— (الإسماعيلية) مدينة صغيرة ، والأخبار تنافل فيها في سرعة ، ولكن هذا الأمر لا يستحق اضطرابك هذا ،
(محسن) ابن عمي ، وهو لك الآن بمثابة أخ ، ولكن أين خاتم الخطبة ؟

* * * * *

لم تحاول إجابته ، بل مدت له يدها بخطاب معلق ، وهي تقول :

— (خالد) .. هذا الخطاب سيشرح لك كل شيء ،
وسيفبرك بما أعجز أنا عن قوله لك ، ولكن لا تفضنه قبل رحيل ، ولا تظلمني في حكمك علي .
تطلع إليها في قلق بالغ ، وتناول منها الخطاب في آنية ، وقبل أن ينس ينسب شفة ، كانت تهرع مفادرة الحجرة ، غير مستجيبة لنداءاته ، فأسرع يفض الخطاب ليجد أمامه مفاجأة ..
خاتم الخطبة ..

خفق قلبه في تولر وقلق ، وأسرع يقرأ الخطاب ، الذي شرحت له فيه (ليل) كل شيء ، فيما عدا استيلاءها على مجوهرات أمها لصالح (محسن) ..
وارتجفت أصابعه ..
وسقط الخطاب بين قدميه ..
وسقط معه قلبه ..

استقبلها (محسن) في حرارة ، وعيناه تلتهمان اللغافة التي تحملها ، فقدمتها إليه قائلة :

* * * * *

— ها هي ذى الجوهرات ، لن يمكنك أن تصوّر كيف كان
من الشاق أن أعمل ذلك ، فلم أفكر أنا أو أبى يوماً في التطرّف
في فصٍّ واحد منها ، فهي الذكرى المتبقية من أمي (رحمها الله) .
أجابها في لحظة :

— لا تخزني .. مستعبدتها بالكامل ، وقبل أن يشعر
والدك ، أعدك بذلك ، والآن سأذهب لإتمام ما اتفقا عليه ،
انتظري ، ولن أغيّب طويلاً .
قالت في مرارة :

— لست أدري إلى أي طريق تقودني يا (محسن) ، ولكنني
أحذر بأن كل هذا خطأ ، ولا أملك القدرة على التراجع ، فأنا
أحبك حقاً ، ويؤلمني أن يدفعني هذا الحب إلى كل ذلك التهور .
رُبّت على وجنتها مطمئناً ، وهو يقول :

— مترين أن مخاوفك ليست في محلها ، وأن ما تطلقين عليه
اسم التهور ، هو عقل ما فعلناه في حياتنا .. والآن انتظري
في (كافيتيريا) الفندق ، وسأعود لأصطحبك إلى المأذون ..
قالها والنصرف ..

مرّت الساعات طويلة ، ثقيلة ، ممّلة ، وبدأت (ليلى)
تشعر بالقلق ، بعد خمس ساعات كاملة من غياب (محسن) ،
واستفحل داخلها شعورها بجسامة الخطأ ، وراح بصرها يدور
في المكان في توثر ، حتى سمعت من خلفها صوتاً مميّزاً يقول :
— جلوسك هنا مضیعة للوقت ، فهو لن يعود .
هَبّت واقفة ، والتفت إلى مصدر الصوت ، هاتفة في
ضجوب :

— (خالد) ؟
سألها في مرارة :
— لماذا يا (ليلى) ؟ .. لماذا فعلت هذا ؟
غمضت متلعثمة :
— لست أملك تفسيراً ، ولا يمكنني أن أشرح لك ..
قاطعها :
— لست أحتاج إلى شرح أو تفسير ، فلقد قرأتهما في
رسالتك ، ولكن ما يدهشني حقاً هو تصديقك لـ (محسن) ،
واستسلامك لخداعه مرة أخرى .
تطلّعت إليه في خوف ، قائلة :
— خداعه ؟ .. لا يا (خالد) .. (محسن) يحبني حقاً ..
إنه سيأتي بعد قليل ، ليصطحبني إلى المأذون .

* * * * * ١١٩ * * * * *

* * * * * ١١٨ * * * * *

قال في مرارة :

— لن يأتي يا (ليل) .. لقد سافر منذ ساعتين إلى
(الحماس) .

هتفت لي فزع وذُهل :

— سافر !؟

أجابها في ألم :

— ليتك انتظرت حتى أنتى من قراءة خطابك ، ولتسى
أعرف طريقك منذ البداية ، فلقد بذلت جهداً كبيراً حتى
اهتديت إليك في الفندق .

وزفر في قوة ، مستطرذا :

— لقد التقيت أمس فقط بصديق لـ (محسن) ، تعرفه في
(ألمانيا) ، وجاء خصيصاً لمقابلته ، ولقد شرح لي هذا الصديق
الكثير من الأشياء عن (محسن) ، فقصة التي رواها لك عن
الفتاة الألمانية حقيقية ، ولكنه هو الذي نصب شباكاً حولها
بوصوليته ، ليستغل ثراءها ونفوذ والدها ، وعندما انكشف
أمره طرده والدها من الشركة ، وانتهت علاقته به (أوجا) ،
وذاق (محسن) مرارة الفقر هناك ، بعد أن نفدت نقوده ،
وعجز عن الالتحاق بعمل آخر ، حتى التقى بأحد المصريين

* * * * * ١٢٠ * * *

المقيمين في (الحماس) ، والذي كان في زيارة قصيرة إلى
(ألمانيا) ، وكان يستعد لإنشاء شركة للتجهيزان الطيبة في
(الحماس) ، فأقنعه (محسن) بأنه يستطيع مشاركته فيها ،
وطلب منه الرجل خمسين ألف جنيه ، ونجح (محسن) في
الحصول على عشرة آلاف جنيه من بعض المصريين في
(ألمانيا) ، بأسلوب ملتو ، حيث أقنعه بأنه سيجعل منهم
شركاء في شركته ، ومن بينهم ذلك الذي روى لي كل هذا ،
وعندما أدرك (محسن) أن المبلغ ضخم للغاية ، طلب من
شريكه ، مهلة أسبوعين ، حتى يستكمل المبلغ المطلوب ،
ويلحق به في (الحماس) .

وزفر مرة أخرى في مرارة ، قبل أن يضيف :

— وعندئذ فكر في الاستيلاء على مجوهرات أمك .

هتفت في هلع :

— هل علمت بأمرها ؟

أوما برأسه إيجاباً ، وهو يقول في ألم :

— لقد كشف والدك الأمر منذ ساعات ، ولقد صدمه هذا

كثيراً ، لأنه لم يصدق أن تفعل ذلك ، وسقط مريضاً في منزله .

بكت وانتحبت قائلة :

* * * * * ١٢١ * * *

— أهنئ هذا أبنا مُدعة منذ البداية ، وأن حبه مجرد عش
وتدليس .

قال في حدة :

— بالطبع .. لقد تزوج (محسن) من شقيقة شريكه في
المسا .

ذهبت في رُغب :

— تزوج ؟ هل تزوج قبل حضوره إلى (الإسماعيلية) ؟
أجابها في صوت يحمل نبرة قاسية :

— نعم .. كان يمدحك طيلة الوقت .

انهارت قائلة :

— كيف سمح له ضميره بأن يفعل بي هذا ؟ .. كيف ؟ ..

أجابها (خالد) في قسوة :

— تمامًا كما سمح لك ضميرك بخيانة حبي الكبير لك .

تعالى نحيا ، وجذب إليها انظار رواد (الكاثيرون) ، في

حين استطرد (خالد) :

— ابكي يا (ليلي) ، فقد يطهرك بكائك من ذنوبك ، أمّا

أنا فلن يمكنني أن أغفر ، أو حتى أشعر بالشفقة نحوك هذه

المرّة .. قلبي الجريح سيعجز عن ذلك .

* * * * * ١٢٢ * * * * *

تفجرت الدموع كالفيضان ، وأسرعت تعدو إلى الخارج ،
فارتجف قلبه من أجلها مرّة أخرى ، وأسرع خلفها ..
ورآها تعدو عبر الطريق ، فهتف بها :
— (ليلي) .. انتظري يا (ليلي) ..
ورأى سيارة تندفع نحوها ، وتحاول تفاديها عبثًا ، فصرخ :
— (ليلي) ..
ثم حدث الاصطدام ..

* * *

لم يكد الطيب يغادر حجرة العمليات ، حتى اندفع نحوه
(خالد) والدكتور (فؤاد) ، وهتف به الأخير في لوعة :

— هل نجحت ؟

أجاب الطيب :

— إصابتها ليست بالخطيرة ، ولكنها تحتاج إلى عملية نقل

دم سريعة ، ونحن نبحث لها عن كمية من فصيلة دمها .

هتف (خالد) :

— إن فصيلة دمي تماثل فصيلة دمها .. سأمنحها

ما تريده ..

أجاب الطيب :

— رائع .. هيا نُجِزْ لك بعض الفحوصات أولاً ..

* * * * * ١٢٣ * * * * *

استغرق الأمر بعض الوقت ، حتى قال لهما الطبيب :
— حمدا لله .. لقد تم إنقاذها .. يمكنكما أن تريهاها الآن ،
ولكن لمدة ربع ساعة فقط ، ولا ترهقها بمحديث طويل ، فما
زالت تحت العلاج .

تهنئ الدكتور (فؤاد) في ارتياح ، وقال :
— أشكرك يا دكتور .. أشكرك على كل ما بذلته من جهد .
تطلع الطبيب إلى (خالد) ، قائلاً :
هذا الشاب يستحق الشكر أيضاً ، قدمه هو الذي أنقذ
ابنتك .

رمى (فؤاد) (خالد) بنظرة امتنان ، وقال :
— هيا يا ولدى .. هيا نرها .
تردد (خالد) لحظة ، ثم قال :
— اذهب أنت يا عمي ، وسألحق بك بعد قليل .
دلف الأب إلى حجرة ابنته ، وهمس في حنان :
— ابنتي العزيزة !.. حمدا لله على سلامتكم .
فتحت (ليل) عينيها ، وغمغمت في الحفوت :
— سامعني يا أبي .

رفع كفها إلى شفتيه ، ولحمها في حنان ، وهو يقول :
— لقد سامحتك يا بinti ، انسى كل شيء الآن ، المهم أن
تعودي إلى منزلك بغير وسلامة .

* * * * * ١٢٤ * * * * *

قالت في خفوت :

— وأين (خالد) ؟
— سيحضر بعد قليل .. لا يمكنك تصوّر مدى سعادته ،
عندما علم بنجاح العملية .

— لقد أخبروني أنه قد تبرّع لي ببعض دمه .
— نعم .. إنه لم يتردد في منحك إياه .
بدا الندم في عينيها ، وهي تقول :
— هكذا هو دوماً .. لا يتردد في مساعدتي ، مهما
ارتكبت من أخطاء في حقّه .

واستطردت في الكسار :
— اطلب منه أن يسامحني يا أبي .. اطلب منه أن يغفر لي
ما فعلته به .

ومن خلف ستار الحجرة ، وقف (خالد) يتطلع إليها ،
دون أن تشعر هي ووالدها بوجوده ، والدموع تنحدر من عينيها
في صمت ، وقلبه يقول :

— سامعيني أنت يا (ليل) ، لقد كنت قائما عليك ، ولم أرحم
آلامك .. سامعيني ، لأنني أعجز عن البقاء إلى جوارك بعد
الآن ، لأن الشرح بيننا قد اتسع ، بعد استسلامك لمواطن
(محسن) وخداعه ، وأصبح يحول دون التقائنا من جديد ..

* * * * * ١٢٥ * * * * *

سامحيني لأن آلام وجراح قلبي أصبحت أقوى من مشاعر الحب
التي تربطني بك .. سامحيني ؛ لأنني سأخرج من حياتك هذه
المرة .. ولن أعود .

وغادر الحجرة في هدوء ، دون أن يلمحاه .. وعندما
حلقت الطائرة بعيدا ، كان يتمنى أن تبعد معه عن كل ما يتمنى
نسيانه ، وعن حبه وآلامه وذكرياته ..
ولكن هيات أن ينسى ..

ها هو ذا الفجر يقترب ، وعقله لا يزال يسترجع ذكرياته
القديمة مع (ليل) ، في حجراته الباردة في الصحراء ..
وهناك ، في حجرتها ، ظلت (ليل) تستعيد صورته
كفارس ليل في أحلامها كل ليلة ، وفي عقلها يتردد سؤال واحد
ورجاء واحد ..

هل يعود ١؟

هل يعود يوما ؟

[تمت بحمد الله]

المؤلف



أ. شريف شريف

السلسلة الوحيدة التي لا يجد الأب
أو الأم حرجاً من وجودها بالمنزل

لن أعسود

أحبها حباً جارفاً كبيراً،
وظلّ مخلصاً لها دون أن ينتظر
مقابلاً لحبه.. وعندما بادلت
مشاعره أخيراً، طلب منها أن تعاهده
على الإخلاص لهذا الحب الكبير..
ولكنها لم تحفظ عهدها..
واتخذ قراره بالخروج من
حياتها بلا عودة

٦٧

التمن في مصر

وما يعادله بالدولار الأمريكي في سائر الدول العربية والعالم